

روايات مصرية للجيب

سلسلة  
الأعداد  
الخاصة

2



ما وراء الطبيعة

٣٦

Looloo

[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)



د. أحمد رضا التوفيق



## مقدمة

كان كتاب ( فى كهوف دراجوسان ) غريباً فى كل شىء ، ولاقى إقبالاً منقطع النظير . والإقبال منقطع النظير يعنى أن الجميع اقتناه ، لكنه لا يعنى بطبيعة الحال أن الجميع أحبه . هناك من كانوا مخلصين لطريقة السرد التقليدية التى تتحرك للأمام والأمام فقط ، فلم يقبلوا عنها بديلاً ؛ وبالتالي بدا لهم الكتاب كابوسياً مربكاً ، وهناك كثيرون ممن هاموا به حباً واعتبروه حدثاً .. لدى خطابات من قراء يطالبوننى بأن تكون هناك سلسلة دائمة على هذا النسق ، ولدى خطاب من والدة أحد القراء - وهى طبيبة فاضلة - تعترف بأنها تحب قصصى جداً لكنها ترجونى ألا أكرر جنون ( دراجوسان ) ثانية !

على كل حال كان من أحبوه هم أولئك الذين نظروا له كلعبة ، وتركيبه قريب جداً على كل حال من شكل ألعاب الكمبيوتر من طراز Adventures ، خاصة وهو يعمل بطريقة ( إذا كان .. عندئذ .. وإلا ) الشهيرة .. وفيما بعد قام بعض الشباب اللامع - حوالى العشرين شاباً لامعاً - من أكاديمية ITI للكمبيوتر باستخدام هذا الكتيب بالذات ليكون مشروع تخرجهم ؛ حيث قاموا بتحويله إلى لعبة مبهرة ثلاثية الأبعاد بالصوت والصورة ..

لكن تجربة ( دراجوسان ) لا يمكن أن تتكرر على كل حال ، وإلا بدت



كالدعابة التي قيلت من قبل .. وعدت بأن أقدم لكم تجربة مختلفة في الكتيب الخاص التالي ، وهأنذا أحاول أن أفي بوعدى ، والوعد مفتوح على كل حال .. كلما خطرت لى فكرة جديدة قدمتها فى كتيب خاص جديد .

هذه قصة مطاطة جداً ، وإن كانت هى البساطة بعينها .. يمكنك أن تختار رفيقاً يناسبك .. يمكنك أن تختار نوعية الخطر الذى يجب أن تمر به وتختار النهاية التى تفضلها .. كل هذا من خلال ١٢ حبة فى ٣٦ فصلاً ، لن تشعر بالملل خلالها أو هذا ما أتمناه .. الذين لم يحبوا ( دراجوسان ) سيجدون أن المحتوى القصصى هنا أكبر ، والذين أحبوا سيجدون أنها لعبة مسلية أخرى .. ومن جديد أكرر بأمانة إننى لا أعرف تجربة سابقة فى العربية تشبه هذه .. فى الإنجليزية هناك بعض - أقول بعض - قصص ( إيلرى كوين ) .. فلو اتضح أن دار ( الزيزفون ) فى ( نواكشوط ) قدمت تجربة مماثلة عام ١٩١٦ فلا ذنب لى ..

فى النهاية يمكنك أن تعود هنا لتلوم نفسك على خيارك غير الموفقة ، لكن لا تقلق .. بحسب المرء دوماً أنه أخطأ الاختيار وأن العشب أكثر نضارة فى الجانب الآخر .. من يدري ؟

وكما يقول الشاعر الكبير ( صلاح عبد الصبور ) :

فلواخترنا لاخترنا أخطاء أكثر ، وقتلنا أنفسنا ندما ..

لقد حلم كثيرون بأن تحوى الحياة زر Undo كما فى برامج الكمبيوتر ليصحح أخطاءك .. لماذا فضلت كلية الآداب على كلية الصيدلة ؟ لماذا فضلت ( غادة ) على ( لمياء ) ؟ لماذا التهمت السباتخ بدلاً من البازلاء ؟ لبيتك اخترت العكس منذ البداية .. حسن .. هذه القصة تحقق لك هذا الحلم ..

فقط ابدأ القراءة ، ولتكن اختياراتك حكيمة أو تبدو كذلك ..

★ ★ ★



هذا هو العجوز ( رفعت إسماعيل ) .. كلنا يعرفه ويفهمه .. لكنه بحاجة إلى حليف .. اختر له حليفاً من القائمة التالية ، ثم انتقل إلى الصفحة التالية :

١ - ( ماجى ماكيلوب ) : حبيبته المخلصة التي عرفها منذ كان يدرس في ( أسكتلندا ) ، والتي ارتبطت معه بعهد خفى دائم حتى تحترق النجوم .

٢ - ( عزت ) : المهندس السابق جار ( رفعت ) ، والشاب النحيل المصاب بمرض عضال .. إنه الإخلاص بعينه لكنه يقع في مشاكل دائمة .

٣ - ( هن - تشو - كان ) : آخر الباقيين من عقيدة تبتية منسية ، وهو الذي فر من عالمه ليجد نفسه بيننا .. إنه شديد النبل والشجاعة بالإضافة إلى قدراته شبه الخارقة ..

هذا هو العجوز ( رفعت إسماعيل ) وقد وجد حليفاً .. إن له أعداء كثيرين لكننا سوف نكتفى بواحد .. اختر الخطر الذي يواجهه ( رفعت ) في المغامرة القادمة :

١ - مصاصو دماء .

٢ - تعويذة قديمة منسية كالعادة .

٣ - الموتى الذين ليسوا كذلك .

٤ - عراف شرير .

جميل .. لقد اخترت كل شيء .. الآن أين تذهب ؟ أقترح أن تراجع الجداول التالية لتعرف وجهتك ثم اختر نهاية سخيفة أو مملة حسب ذوقك .. لن أمانع في أن تعود هنا كي تختار شيئاً آخر .. لسنا في الحياة الواقعية حيث الخيارات بلا رجعة ، ولا تكن من المغرورين الذين يقولون : لو عاد بي الزمن لاخترت الأشياء ذاتها .. ( لاحظ أنني لست متعصباً أو متصلب الرأي على الإطلاق ) :

الحليف	المشكلة	اتجه للفصل رقم	نهاية سخيفة : اتجه للفصل رقم	نهاية مملة : اتجه للفصل رقم
ماجى ماكيلوب	مصاصو دماء	1	21	36
	تعويذة قديمة منسية كالعادة	5	23	26
	الموتى الذين ليسوا كذلك	9	15	34
	عراف شرير	4	20	32



- ١ -

## صدىقتى

قالت ( ماجى ) فى خطابها لى :

الأعز رفعت :

أفتقدك كثيراً فى الآونة الأخيرة .. وإبنى لأنساعل عما تفعله الآن .. لا أعتقد أنك مستمر فى مطاردة الأشباح والموميאות ؛ لأن الحياة تتغير ونحن نتغير .. أعتقد أنك قد توقفت إن لم يكن بفعل الملل فبفعل السن ..

لا أعرف لماذا أكتب هذا الخطاب بالذات ، فأنا لا أعتقد أننى أملك شفافية خاصة أو أرى تلك الأمور التى تراها طيلة الوقت ، لكنى بالفعل أريد معرفة رأيك ..

أنت تعرف أننى أعيش وحدى هنا فى قصر أبى فى ( انفرنسشاير ) .. ( جراهام ) الخادم العجوز الذى لا يخرج أبداً يوفر لى كل ما أطلبه .. هناك إيقاع الحياة المعتاد من عملى فى الجامعة ومن الوحدة ومن أشباح القصر المعتادة .. قصر أسكتلندى بدون أشباح هو خبز بلا دقيق ، وكما قلت لك أحسب هذه الأشباح تتقاضى راتبها من الحكومة الأسكتلندية مقابل تنشيط السياحة .. هناك أكثر من عشرين سير ( ماكيلوب ) يتحركون فى الممرات ليلاً ..

الحليف	المشكلة	اتجه للفصل رقم	نهاية سخيطة : اتجه للفصل رقم	نهاية مملّة : اتجه للفصل رقم
عزت	مصاصو دماء	2	17	29
	تعويذة قديمة منسية كالعادة	8	18	30
	الموتى الذين ليسوا كذلك	7	24	31
	عراف شرير	6	16	28

هن - تشو - كان	المشكلة	اتجه للفصل رقم	نهاية سخيطة : اتجه للفصل رقم	نهاية مملّة : اتجه للفصل رقم
هن - تشو - كان	مصاصو دماء	3	13	33
	تعويذة قديمة منسية كالعادة	12	22	27
	الموتى الذين ليسوا كذلك	11	14	35
	عراف شرير	10	19	25



هذا شيء معتاد ولا يثير دهشتي ..

هناك صداقات محدودة لي كما تعلم ، وهي من طراز الصداقات الأرسقراطية التي تشعرك بعدم الراحة .. ومن ضمن هذه الصداقات عارضة الأزياء ( إيصابات مكديمروت ) ، وهناك شاعر يتدلى شعره على كتفيه ويعتقد أنه يحبني ، وهناك ( إيوان فريزر ) الصياد الذي ينجح دوماً في إثارة غيرتك ..

القصة تتعلق بـ ( إيصابات ) .. في البداية يجب أن أصفها لك جيداً .. بما أنها عارضة أزياء فهي رشيقة فارعة الطول .. حتى أنا أبدو بدينة قصيرة حينما أكون جوارها .. لها وجه راق متعال بعض الشيء .. شعر أحمر وعينان غامضتان عميقتان .. إنها من الطبقات الراقية وهي من الطراز الذي يقضى الشتاء في ( سان موريتز ) وتزور ( باريس ) مرتين في العام على الأقل .. أعتقد أن ثمن قرطها يساوي راتبي لمدة خمسة أعوام ..

لكن هناك نقطة نفسية معينة ، هي أن أسرتنا عريقة فعلاً وذات اسم مرموق في مجال العلم ، حتى إن لم نكن أثرياء لهذا الحد .. لهذا تصر ( إيصابات ) على أن تبقيني في دائرتها ؛ لأن هذا يعطيها شعوراً بالاكتمال .. إنها ثرية جميلة ولها صديقة عريقة الأصل من أسرة محترمة علمياً .. أنت تفهم هذه الألعاب النفسية ..

( إيصابات ) شبه مخطوبة لطبيب يدعى ( أندرو أروسميث ) .. وهو من نفس الطبقة على كل حال ، وقد كان تلميذاً لأبى مثلك لكنه أصغر سنًا منك وبالطبع أكثر وسامة ..

هل فهمت القصة ؟ أعتقد بما أعرفه عن ذكائك أنك استنتجت الباقي وأنت وصلت إلى استنتاجك الخاص .. ماذا ؟ لم تصل بعد ؟ هذا يخيب أملى فيك ..

حسن .. سأكون أوضح .. منذ فترة بدأت ( إيصابات ) تشحب بشكل مستمر .. أصابها داء لا يعرف الأطباء سببه ولا منشأه .. أنيميا غريبة شديدة الوطء .. إنهم متأكدون من أنها تفقد دمًا لكن كيف ؟ يسهل التأكد من أنها لا تتزف من القناة الهضمية أو رنتيها أو أسناتها أو أنفها أو رحمها ..

كان ( أندرو ) هو أول من لاحظ هذا .. لا تنس أنه طبيب .. قال إن نسبة الهيموجلوبين في دمها خمسة جرامات وإن هذا رقم خطير ، وقد طلب أن ننقل لها بعض الدم في المستشفى ..

الغريب في الموضوع هو أن ( إيصابات ) لا تبدو قلقة على الإطلاق .. إنها سعيدة نشطة ، وتقول إن هذا الشحوب يعطيها ( لمسة فكتورية محببة ) ..

إلى هنا لا يتجاوز الأمر مجرد معضلة طبية لا تعنيني في شيء .. لكن ( أندرو ) فحصها بعناية أكثر ، وقد جاء لي ذات ليلة مهموماً ليصارحني بمخاوفه العميقة .

ظل صامتاً بضع دقائق ، ثم غطى وجهه وراح يفكر .. في النهاية قال :  
- « لا أعرف كيف أفسر هذا .. لكن هناك ثقبين في جذر عنق ( إيصابات ) .. »



- « لو فكرت فى الأمر ملياً لوجدت أننى لا أمزح .. وأن هذا هو  
الحل الوحيد . »

كانت فكرته هى أن أختار لها غرفة .. لالن أقيم معها فيها ولن نملاً  
الباب بالثوم ونرش العتبات بالماء المقدس .. كل ما طلبه هو دائرة  
مراقبة تلفزيونية يسهل على أن أضعها بصفتى المختصة فى الفيزياء (\*) ..  
هذه الدائرة تسمح لى برؤية الغرفة ليلاً والحكم على الأمور ..

أعتقد أنك توشك على الانفجار ضحكاً .. لكن قل لى بربك ما يجب  
أن أفعله .. لقد وضعنى فى صورة الفتاة المدللة التى توشك على  
التخلى عن صديق ..

تعليقاتك ضرورية وحيوية ..

باخلاص :

ماجى

★ ★ ★

رددت على هذا الخطاب بخطاب آخر أحذف منه عبارات الشوق  
والهيام والغزل بعد إذنك وأذكر الفقرة الموضوعية التى تهتم الجميع :

( ماجى ) العزيزة :

( .. هيام .. شوق .. عينك .. النجوم .. إلخ ) ... فى الواقع لست

(\*) فى زمن القصة كان هذا طموحاً علمياً زانداً ..

قلت له فى برود :

- « وما فى ذلك ؟ ماذا تلمح إليه ؟ »

قال فى حيرة :

- « المشهد المعتاد فى قصص مصاصى الدماء .. الفتاة تشحب بلا سبب  
ثم يجد الطبيب أن هناك ثقبين فى جذور العنق .. ثم يتضح أن مصاص  
الدماء يزورها كل ليلة .. »

بدا لى هذا سخيفاً بحق .. لا بد أنه يمزح .. ثقب العنق هذه لا قيمة  
لها إلا عندما تكون القصة من قصص مصاصى الدماء ، وعندها يتضح  
أن الأحمق الذى يسخر من الموضوع قد ارتكب خطأ عمره ، أما هنا  
فنحن فى عالم الواقع حيث لا داعى لهذه اللمسات القوطية ..

قال لى بنوع من الرجاء :

- « سأطلب منك خدمة وأرجو ألا تخذلىنى .. »

- « هذا يتوقف على نوع الخدمة .. »

- « أنت تعرفين أن ( إيصابات ) تعيش وحدها .. تنام وحدها فى  
ذلك البيت شبه المقفر .. أنا بحاجة إلى من يكون قريباً منها ويراقب  
الأحداث عن كثب .. أريد أن أعرف ما يحدث لها ليلاً ، لهذا لمحت  
لها إلى أنك قد ترحبين باستضافتها فى قصرك ! »

أحنقتنى هذا .. لم أمقت فى حياتى قدر هذه القرارات التى أتخذها  
دون علمى .. فقلت :

- « لا بد أنك تمزح ! »



مستعداً للسخرية من هذا الذى تحكين .. فأنا من طراز أولئك الذين تقابلينهم فى قصص الرعب ويصدقون كل شيء ( ويتضح أنهم على حق ) ..

لكنى على كل حال لست مستعداً لأن أقبل أى شيء ببساطة .. إن القصص كثيرة عن حالات فقر الدم والندوب التى تحير الأطباء ، ثم يتضح أن المريض نفسه هو من أحدثها فى نفسه على سبيل اللذة الماسوشية أو التنكيل بالذات وتكتم ذلك .. عرفت مريضة كانت تستنزف الدم من وريد خفى فى جسمها لتصاب بفقر الدم الذى أثار جنون الأطباء ..

أعتقد أن موضوع مراقبتها هذا مفيد حقاً .. رأى أن تقبلى هذا العرض وترحبى به .. من ناحية هى ستمنحك بعض التسلية ، ومن ناحية أخرى أعتقد أنها ستقدم لك هبة العلم التى لا تقدر بثمن ..

أقبلى العرض وأبلغينى بما يستجد ..

رفعت إسماعيل

★ ★ ★

الاعز رفعت :

لم يطل الأمر على كل حال .. فمت بترتيب كل شيء وقد جاءت ( إليصابات ) للإقامة معى ، وهى تعتبر الأمر كله دعابة .. لكنى لم أخبرها بشيء .. قلت إن خطيبها اقترح أن تكون فى رفقتى بضعة أيام . وبالطبع لا يعرف سوى أن هناك كاميرا صغيرة فى حجرتها مخفية وراء زخرفة الروكوكو الثقيلة المحيطة بإطار النافذة .. هذه الكاميرا تبث صورة إلى جهاز تلفزيون صغير فى مكتبى ، مع إمكانية التسجيل طبعاً .. حافظت على إضاءة خافتة فى الغرفة تسمح برؤية ما يحدث ..

هكذا بعد ما قالت لى ( عمت مساء ) ، قضيت عدة ساعات معلقة فى غرفة مكتبى أرشف الشيكولاته الساخنة وأتأمل الشاشة ، حتى شعرت بأن عيني زانفتان وأننى يمكن أن أرى الإسكندر الأكبر نفسه على الشاشة .. أعتقد أننى سأنام ..

حدث الشيء فى الرابعة صباحاً ..

رأيت بوضوح تام باب الشرفة الذى كان موصداً ينفتح .. ثم رأيت ذلك الظل يدخل الغرفة .. هكذا زال النعاس من عيني ووثبت فى مقعدى ..

فى البداية اعتقدت أننى أحلم ، لكنى رأيت بالفعل يدنو من الفراش ويقف جواره ..



كان مبهمًا فعلاً فلم أدر كيف يبدو ، لكن يمكن أن أقول لك بضمير مستريح أنه لم يكن يتدثر بعباءة سوداء مبطنة بالأحمر .. لم يكن يبدو كمصاصى دماء ( هامر ) إياهم ..

سأعترف لك أنني فقدت حكمتي ..

كان من المفترض أن أراقب المشهد حتى نهايته .. أو إذا تجردنا من البرود العلمى أوقف ( جراهام ) رئيس الخدم الوفى ..

لكنى لم أفعل .. كنت أريد أن أكون هناك والآن ..

الآن يمكنك الاختيار ..

لو كنت تريد نهاية سخيفة ، فلتتجه للفصل رقم ٢١

لو كنت تريد نهاية مملّة ، فلتتجه للفصل رقم ٣٦

- ٢ -

## طبيعى أكثر من اللازم

أعترف أن ( عزت ) مثال جيد .. كنت أعرف هذا بوضوح عندما كانت تماثيله قريبة من الطبيعة أو تحاكيها ، لكنى لم أحب هذا النوع من الفن على كل حال .. إذا كان سيصنع نسخة من الطبيعة فلماذا لا نكتفى بصنع قالب من الجص لموضوع التمثال ؟ نفس السبب الذى جعل المدرسة الكلاسيكية فى الرسم تضحل مع اختراع الكاميرا .. هنا ظهر التأثيريون والوحشيون والسرياليون ؛ لأن غرض الاحتفاظ بصورة دقيقة للشخص لم يعد مطلوباً من الرسام .. صار عليه أن يطور رؤيته للعالم ، وإلا فإن أية كاميرا رخيصة تؤدى العمل أفضل منه بمراحل ..

أقول إن تماثيل ( عزت ) الأولى كانت تدل على براعته ، لكنها لم تمثل فناً بالنسبة لى .. أما تماثيله الأخيرة الأقرب إلى الحداثة فتذكرنى بالباذنجان الذى يتظاهر بأنه فاصوليا .. ربما السحلية المصابة بسرطان القولون ..

باختصار لم أحب أى عمل لـ ( عزت ) برغم أننى لم أكف عن اعتباره موهوباً ..

هذا رأى ومن المستحيل أن تتهمنى بالتجنى أو الافتراء ؛ لأننى أقوله بتجرد ولأن ( عزت ) لن يعرف أبداً أنه رأى ..



الحقيقة أننا نبالغ في الصراحة في الأمور غير المهمة .. نناقق رؤساءنا وأصدقائنا ونكذب طيلة الوقت ، فإذا تعلق الأمر برأى في عمل فنى تحولنا إلى الصراحة نمشي على قدمين .. وصرنا لا نخشى في الحق لومة لائم .. هكذا تصير أسعد لحظات حياتنا هي اللحظة التي نصارح فيها الفنان أن عمله رديء ، ثم نعود لبيوتنا لننام شاعرين بأننا أدينا ما علينا تجاه البشرية .. إن ثقافة المجاملة مهمة ولا بأس بها من وقت لآخر ..

\*\*\*

هكذا عندما دعاني ( عزت ) لشقته كي نشرب الشاي بالصراصير ويعرض على تحفته الجديدة ، استعددت بصرخة الانبهار قبل أن أرى أي شيء .. فقط كنت أتساءل: هل يجب أن أفقد وعيي من فرط الإعجاب أم أن هذا مبالغ فيه ؟

لكن بصراحة .. لم يكن ما رأيته رديناً على الإطلاق ..

عندما كشف الملاءة رأيت تمثالاً عملاقاً معقداً .. كان في مرحلة الصلصال بعد ، وأعتقد أنه سينقله إلى حيث يصب قالباً له ..

التمثال يمثل اثنين من مصاصي دماء وفتاة يقفون في أوضاع تشريحية ممتازة .. الفتاة بثياب فكتورية وتصرخ في رعب بطريقة فكتورية كذلك ويبدو أنها أدركت الحقيقة فجأة .. بينما ينقض عليها مصاص دماء من الأمام فاتحاً فمه كاشفاً عن نابين مخيفين ، وقد التف بالعباءة .. أظهر ( عزت ) براعة خاصة في تجاعيد القماش

ولا أنكر هذا .. هناك مصاص دماء يقف وراء الفتاة وقد فتح ذراعيه منتظراً تراجعها للخلف .. وعلى وجهه تعبير يمكن أن أخصه بمصطلح سوقى بعض الشيء هو ( تعالى لي يا بطة ) ..

الحقيقة أن المشهد هزنى .. ثمة تلك المخاوف الغامضة المتوارية في وجداننا الجمعي منذ الطفولة .. ماذا سيحدث بعد هذا ؟ لا توجد لدى الفتاة أية فرصة للفرار من أي نوع .. يسهل أن تتخيل نفسك في هذا الموقف ..

قلت لـ ( عزت ) في ارتباك :

- « رائع .. مذهل .. »

تورد وجهه وهذا نادر .. لكنني أضفت :

- « لكنه ما أغربه من موضوع لتمثال ! لن تجد من يفهم تمثالاً كهذا .. لو انشغل الفنانون بصنع تماثيل لمصاصي الدماء فلن تجد منهم عددًا كافيًا لصنع تماثيل العمال مفتولي العضلات الذين يحملون المفتاح الإنجليزي ويقفون جوار فلاحه »

قال في خجل :

- « هذا من وحي قصصك التي لا تنتهي .. خطر لي أن هذا المشهد من الرعب القوطي سيروق لك .. إنه موضوع غير معتاد على كل حال .. »

- « غير معتاد على الإطلاق .. »



على كل حال تناولنا الشاي ، ثم سألته عن خطته .. قال لى إن هناك معرضاً وشيكاً سيقام فى الإسكندرية وهو ينوى عرض هذا التمثال فيه ..

قلت محذراً :

- « لن تفوز بأى شىء .. أولاً لا بد من أن تعرض واحدة من تلك السحالي المصابة بسرطان البروستاتا .. لن يمنحك أحد جائزة من أجل تمثال لمصاصى دماء .. ثانياً لا بد من أن يسبق اسمك حرفاً ( أ . د ) .. لو أخذت برأىي لغيرت اسمك فى السجل المبنى إلى ( أ . د . عزت ) .. »

قال فى تفاؤل :

- « أنا لا أمارس الفن كى أحصد الجوائز .. أنت تحتاج إلى وقت أطول من اللازم كى تدرك أننى فنان حقيقى .. »

- « هذا التفاؤل يسعدنى »

عدت لشقتى . وكان الوقت قد تأخر لذا بدأت أستعد للنوم ، عندما سمعت دقات هستيرية على الباب فاتجهت لأفتحه بحذر .

كان هذا هو ( عزت ) ممتقع الوجه مذعوراً .. وبمجرد أن رأى وجهى صاح :

- « لقد تحرك التمثال ! »

حككت رأسى فى ملل وقلت :

- « هل تذكر قصة ذلك التمثال المخيف ( ميسيا ) ؟ أنت تكرر نفسك بشكل غير مسبوق .. سأحتاج لوقت أطول من اللازم حتى أقابل تمثالاً من تماثيلك لا يتحرك »

قال فى لهفة :

- « لكنه تحرك فعلاً ! أرجو أن تتبعننى ! »

ذهبت معه إلى شقته .. ودخلنا .. خيل لى أننى سمعت باب الشقة ينغلق ونحن فى طريقنا إلى الستوديو ، لكنى فسرت ذلك بالريح ..

على قاعدة التمثال وجدت منظرًا غريبًا .. الفتاة واقفة كما هى تصرخ ذعراً .. لكن مصاص الدماء الذى يقف أمامها غير موجود .. هذا جعل المشهد غريباً كأنها تصرخ من شىء لا تراه هو مصاص الدماء الثانى الواقف وراءها ..

قلت لـ ( عزت ) :

- « هل أنت متأكد من أنك لم تجن وتنتزع التمثال ؟ »

- « لا .. على قدر ما أعرف .. »

هكذا رحنا نفتش الشقة بحثاً عن التمثال المختفى .. لا أثر له فعلاً .. لكنى قدرت أن فى الأمر لعبة نفسية ما .. على الأرجح هو لم يحب التمثال لذا انتزعه ودمره دون أن يعرف ذلك .. هذه الأشياء تحدث .. من السهل أن تحيل تمثالاً من الصلصال إلى عجينة من الصلصال .. أما الدعامة فيسهل تفكيكها ..

قلت له وأنا أحاول أن أبدو عقلاً :

- « أعتقد أن هناك تفسيراً منطقياً .. التماثيل لا تتحرك تلقائياً لأن قوانين نيوتن تقول ذلك .. أعتقد أنك ارتكبت غلطة ما .. فى الصباح سنفهم أكثر .. »

ثم قدمت عرضى الكريم :



- « هل تريد أن تنام عندي ؟ »

قال فى ضيق :

- « لا أعتقد .. لقد صار هذا السيناريو مملاً .. سوف أنام هنا لكننى أؤكد عدم الفهم .. »

هكذا ودعته واتجهت إلى شقتى التى تركت بابها مفتوحاً فأغلقتة ودخلت فراشى .. لن ينتهى هذا السيرك أبداً .. الحقيقة أنه كان على ( عزت ) أن يجد بيتاً آخر . إننا نكون ثنائياً مريعاً ..

بدأت أغوص فى بركة النعاس الشهية .. أغوص فى الفراش ..

لماذا استيقظت من نومى ؟

لا أعرف .. لكنها تلك العين الثالثة التى تظل مفتوحة ونحن نيام ..

عندما فتحت عيني رأيت الردهة بإضاءتها الخافتة خارج الغرفة .. استغرقت بعض الوقت كى أصدق ما أراه ..

لقد كان التمثال هناك .. وكان يتحرك .. يتحرك فى بطء شديد لكنها حركة لا شك فيها ..

ملتقاً بعباءته التى يلف جزءاً منها على ساعده كما كان يفعل ( بيلا لوجوزى ) فى الفيلم الأخير الذى لم يمثله .. كان يتحرك .. كأنه يبحث عن شىء .

إنه كفيف ! خطر لى هذا وبدا مضحكاً ، لكنه التفسير الوحيد لهذه الخطوات .

لقد كان يتحرك فى شقة ( عزت ) .. وعندما دخلنا خرج من الباب ليدخل بابى أنا .. هذا هو تفسير الصوت الذى سمعته ..

الآن هو يقف على باب الغرفة .. يتحسس الباب بحركات متصلبة ، إنه يدخل !

انزلت إلى الناحية الأخرى من الفراش عالماً أن قلبى يعيش آخر لحظاته المجيدة . لو فقدت الوعي لانتهى أمرى .. كيف ينتهى ؟ لا أعرف .. لكن آخر لحظة يحسن فيها أن تفقد وعيك هى عندما تواجه تمثال مصاص دماء يتحرك !

عندما شعرت بأنه دخل الغرفة فعلاً وأنه يقترب من الفراش زحفت على يدي وركبتي متجهاً نحو الباب .. لم أنظر إلى الوراى لكننى قدرت أنه بطيء وأنه سيستغرق وقتاً للحاق بى .. لن أثق فى هذا كثيراً على كل حال لأن الزومبى فى الأفلام شديدو البطء لكنهم يقبضون على البطل فى النهاية ..

الآن أنا عند باب الشقة ..

عالجت القفل .. تباً ! هل هذا حصن ( بابليون ) ؟ مفتاح وقفل .. سوف أستغرق شهراً حتى أفتح هذا الشىء ..

فى النهاية انفتح فقبضت على سلسلة المفاتيح ، واستطعت الخروج إلى الليل البارد ..

الآن يمكنك الاختيار ..

لو كنت تريد نهاية سخيفة ، فلتجده للفصل رقم ١٧

لو كنت تريد نهاية ممسلة ، فلتجده للفصل رقم ٢٩



- « الصقيع هو ما تراه أنت .. والشمس هي ما تراه أنت .. »

فلتشر بالشمس .. بالدفاء .. بمذاق الشاي بالزبد وحساء البصل  
الساخن ..

هناك مجموعة من الأشجار تمر جوارها .. يبدو أن هناك منحدرًا  
وراء هذه الأشجار ..

تقترب أكثر فتري مشهدًا يجمد الدم في عروقك .. قدمان بشريتان !

هناك مسكين تجمد خلف هذه الشجرة لا شك في هذا ..

تهرع إلى هناك فتري ذلك البائس .. كان مكسوفًا بالجليد فعلاً ..  
ليست طبقة سميكة لكن هذا كاف مع الطقس المريع كي يقتل  
إنساناً ..

ما هذا الشيء المحيط به ؟ إنه أرز ! أرز لزج نصف مطبوخ يتناثر  
في دائرة حوله .. لقد اختلط بالثلج لكن لا شك في طبيعته ..

إنه ينظر لك .. ما زال حياً إذن .. تزيل الجليد عن ملامحه ..

هناك حالات سود كثيفة حول عينيه .. ربما كان هذا بسبب الجوع  
أو البرد .. عيناه تتابعانك بلا توقف لكنه لا يتكلم .. شاحب جداً .. لك  
أن تتوقع هذا ..

- « لا تخف .. الزهرة الزرقاء سوف تنتقذك .. »

لكنك ترى شيئاً غريباً على جبهته ..

- ٣ -

## شيانج شي

قبل أن يأتى ( هن تشو كان ) إلى زمننا جرب ذات مرة أن يفارق  
الدير ويجوب البلاد ..

هأنذا حافى القدمين بصفيرتك المتدلية على ظهرك ، وذلك الكيس  
الذى تحمل فيه بقايا الخبز التى يتبرع بها الناس وأنت تجوب ربوع  
التبت .. إن التسول طقس مهم فى البوذية ولدى النافاراي ..

الثلج ينهمر وأنت تهبط من التل لتري تلك المجموعة من  
الأكواخ .. تبحث عن مأوى برغم أنك قادر على إقناع جسدك أن  
الطقس حار .. لكن لا أحد فى الأكواخ التى تدق بابها .. برغمك  
تستهى بعض الحساء والشاي بالزبد ..

إن للجسد عليك حقوقاً .. وهو لا يتنازل برغم كل شيء ..

لا أحد فى القرية كما يبدو لذا تغادرها ، وتدخل الغابة القريبة ..

الليل آت عما قريب ، ولسوف تحتاج إلى كل ما كسبته من ثقافة  
( النافاراي ) كي تستطيع تحمل هذه الليلة وسط الجليد ..

تمشى وسط الغابة بين الأشجار التى تدثرت باللون الأبيض ..  
وتتذكر الأخ ( ميانج ) :



هناك وريقات صفراء تتناثر على جبهته .. وريقات عليها نوع من الكتابة الدقيقة باللون الأحمر .. أم بالدم ؟

ما معنى هذا ؟ يبدو الأمر كأنه طقس .. لكن أى طقس ؟

هكذا تمد يدك وتنزع هذه الأوراق .. ثم تمد يدك لتعيّنه على النهوض .. المشكلة الآن أن تجد له مأوى ..

★ ★ ★

فجأة وثب هذا الرجل فى الهواء ..

وثبته كانت رشيقة أشبه بوثبة القط ولا بد أنه دار ثلاثة أرباع دائرة حول نفسه ..

فجأة رأيته يقف أمامك ..

لقد ارتكبت خطأ شنيعاً عندما ساعدت هذا الكائن .. أنت ترى الآن أنه ليس كائناً حياً بل هو مسخ .. مسخ له أنياب طويلة تتدلى من فمه وهو يزجر كوحوش الغاب ..

يتقدم نحوك .. إنه لا يمشى لكنه ( يحجل ) على ساق واحدة .. طريقة غير جميلة لكنها مجدية لأنه يقطع مسافات لا بأس بها ..

فى اللحظة الأخيرة وثب عليك فوثبت أنت فى الفضاء ودرت نصف دورة لتسقط خلفه .. عاد يحجل نحوك بتلك الطريقة وهو يصوب نحوك مخالفاً لكثرتك وثبت من جديد . لو ظن هذا الأحمق أنه قادر على الظفر بكاهن نافرأى أخف من الذبابة فهو مخطئ ..

هل تبدأ الساراياتا ؟

ربما لم يحن الوقت بعد .. يبدو أنك قادر على تفاديه ..

من جديد هاجمك فتمرغت فوق الجليد بحيث مر من جوارك ..

فجأة رأيته يتجه نحو حاجز الأشجار ويتوارى وراءها .. ماذا يحدث هنا ؟

جريت بخفة لتلحق به ، فوجدته على ركبتيه ينحنى على جسد آخر ممدد على الأرض .. ويبدو أنه ينتزع تلك الأوراق من على جبهته .. هناك آخرون إذن ! ويبدو أن هذه الأوراق الصفراء هى القيد الذى يبقئهم مكبلين ..

نظرت وراء شجرة أخرى فرأيت اثنين آخرين !

لا وقت للفهم .. يجب أن تفر وأن تبحث عن يعرف معنى هذا .. هؤلاء سوف يوقفون بعضهم ما دمت أنت قد بدأت الخيط ..

يجب أن تفر إلى القرية وتبحث عن يفهم ..

هكذا رحلت تركض بسرعة لا تصدق قاصداً القرية التى مررت عليها من قبل .. لا يمكن أن يكون الجميع قد هجرها .. لابد من كوخ واحد مسكون ..

فتشت كوخين فثلاثة فلم تجد شيئاً ..

لكنك وجدت شيئاً غريباً فى الكوخ الثالث ..



كانت هناك جثث متجمدة لأسرة كاملة .. من الصعب معرفة سبب الوفاة ،  
لكن العلامة المقلقة هي أنه لا توجد جثة إلا وقد انتزع أحد أطرافها ..

أنت الآن خائف ..

حتى كاهن النافاراي يخاف .. لأن ما لا تعرفه مرعب دائماً ..

في الكوخ السادس فوجئت بأحياء .. تلك المرأة المذعورة وطفلها والعجوز  
ذى اللحية الكثيرة البيضاء .. كانوا يشعلون ناراً .. وهذا هو المهم ..

ما إن دخلت الكوخ حتى طار إناء معدني في وجهك ، لكنك اتحنت  
في الوقت المناسب ليمر الشيء جوارك ويضرب الجدار ، ثم سمعت  
العجوز يصيح :

« دعيه يا ( فونج لي ) .. إنه ليس منهم ! »

هزرت رأسك ودخلت الكوخ وأبرزت لسانك لهم كما هي التحية  
هنا .. من ثم صبت لك المرأة سلطانية من الشاي بالزبد وقدمتها  
لك .. بلا أية كلمة ..

لما فرغت من الاحتساء رفعت رأسك .. مدت يدها تضع في يدك  
سلطانية بها أرز مطبوخ فبدأت تأكله بأناملك .. مذاقه كريه لكنه  
ساخن على الأقل ..

قال العجوز :

« القرية كلها هلكت .. لقد هاجمها ( الشياتج شى ) .. لم يبق

سوانا .. »

رفعت حاجبيك متسائلاً فقال العجوز :

« هناك روحان في كل جسد .. الروح الشريرة تدعى ( باي ) .. لو أن  
الإنسان مات ميتة عنيفة شنيعة ، أو لم يدفن بالسرعة الكافية ،  
أو استطاعت الحيوانات أن تعبت بقبوره ، فإن الروح الشريرة تسيطر على  
الجسد ويتحول إلى ( شياتج شى ) .. لو مر قط على رأس الميت فإنه  
يتحول إلى ( شياتج شى ) .. إن الشياتج شى يمتصون دماء الأحياء ..  
متيسون فلا يقدر على المشي لذا يتواثبون وثباً .. قوتهم لا تصدق لذا  
يقدر على انتزاع قدم أو ذراع ضحاياهم .. (\*) »

« أنا هاجمني ( شياتج شى ) »

« وظللت حياً ؟ لا أحد يقدر على مواجهتهم إلا كهنة ( التاو ) (\*\* ) ..  
إنهم يكتبون تعاويذ معينة بدم الدجاج على ورق أصفر يلصقونه ببجبهة  
( الشياتج شى ) .. اسمها ( فو ) ومعناها ( الحظ الحسن ) بلغة  
المتدارين .. لو وجدت أحدهم فليك أن تجرب نزع هذه الأوراق لأنها تجعلهم  
مشلولين عاجزين عن الحركة .. يقولون إنه لو طاردك ( شياتج شى )  
فعليك أن تكتم نفسك .. عندما لا يشمون رائحة أنفاسك فلن يجدوك ..  
الثوم يصلح وكذا الأرز اللزج نصف المطبوخ .. »

(\*) أسطورة صينية حقيقية .. كل شعب لديه قصص مصاصي الدماء الخاصة  
به ، وهؤلاء هم مصاصو الدماء الصينيون ..

(\*) المجال ليس مناسباً للكتابة بالتفصيل عن التاوية Taoism لكنها عقيدة  
صينية مهمة تتبع من يدعى ( لاو تزو ) ..



- « وكيف يموتون ؟ »

- « ( الشياتج شى ) موتى فعلاً أيها الفتى فلا توجد طريقة لقتلهم .. نحن استعنا بكاهن تاوى جاء القرية متأخرًا بعد ما هلك الجميع .. لكنه انطلق إلى الغابة يطارد تلك المخلوقات .. اعتقد أنه فشل ما دمت قابلت بعضهم .. »

تفتح فمك لتفسر لكنك تسمع دقات عنيفة على باب الكوخ .. ويقول العجوز وهو يرتجف :

- « .. لقد عادوا !!! »

الآن يمكنك الاختيار ..

لو كنت تريد نهاية سخيفة ، فلتتجه للفصل رقم ١٣

لو كنت تريد نهاية مملة ، فلتتجه للفصل رقم ٣٣

- ٤ -

## طالعنا

لم تكن ( ماجى ) ممن يؤمنون بالعرافين .. وكنت أنا مثلها ..

والسبب ؟ لا تعتمد على منطق معين ، ولكنه ذلك الاتفاق المطلق بيننا فى الطباع .. يكفى أن أعرف عن نفسى أنى أكره كذا أو أحب كذا ، حتى أعرف تلقائياً إنها تؤمن بذات الأشياء .. تشابه غريب محير حتى إننى كنت أتساءل عما إذا كانت هى نسختى الجينية جاءت من بعد آخر .. يقولون إننا كنا خلية واحدة فى جسد أحد الجدود يوماً ما ..

لكننا فى تلك الليلة كنا شابين مفعمين بالحياة والرغبة فى المرح ، وكنا عاندين من نزهة طويلة فى الملاهى فى مدينتها ..

طبعاً لم تعرفونى بوضوح .. هذا أنا .. أقرب للوسامة والشباب مع كثير من التجاوز وهناك شعر على رأسى برغم كل شىء .. هكذا كنت أبدو فى تلك الأيام من خمسينات القرن العشرين .. أما هى فأنتم تعرفونها .. لم ولن تتغير أبداً .. إنها الأنثى الخالدة .. إنها الأميرة النائمة أو سندريللا التى لا تشيخ أبداً .. نقرأ قصصها ونحن أطفال ، ونشيخ فنفتح ذات القصص لنجدها كما هى ..

بعد ما قمنا بهذه الجولة فى الملاهى كنت أشعر بالخجل لأننى لم أجلب لها أية هدية .. فى الأفلام يكون العاشق فارساً لا يشق له غبار يفوز بكل الألعاب .. وكلما فاز بشىء أهداه لحبيبته .. أما أنا فلم أظفر بشىء على الإطلاق لذا ابتعت لها بعض الفيشار ..



قالت لى هامسة والبخار يتصاعد من فمها :

- « إلى الأبد ؟ »

- « ماذا ؟ »

- « ستظل تحبني إلى الأبد ؟ »

قلت صادقاً :

- « وحتى تحترق النجوم .. وحتى .. »

ثم توقفت لأنى رأيت شيئاً غريباً ..

كانت تلك الخيمة الفجرية فى طريقنا نحو بوابة الخروج ..

لافتة كبيرة على المدخل تقول ( مدام بلافاتسكى ) .. هكذا بلا أية تفاصيل أخرى أو وعود ..

قلت لـ ( ماجى ) ضاحكاً :

- « النصب يبدأ من هنا .. مدام ( بلافاتسكى ) عرافة روسية كبيرة لها مؤلفات وأتباع .. لن تفتح خيمة فى الملامى أبداً .. إذن النصب يبدأ من الاسم الذى اتخذته ويدل على نقص فى الخيال .. »

ضحكت وتأبطت ذراعى وملأت فمها بالفيشار من الكوب الكبير الذى أحمله ..

مررنا أمام الخيمة ، وألقينا نظرة على الداخل من وراء ستار موارب .. كانت الخيمة مظلمة لكن تناثرت فيها شموع معلقة على

شمعدانات .. ووقعت عيني على المدام الجالسة بالداخل .. توقعت أن أرى عجوزاً بارزة العظام لها سمت الغربان تربط رأسها بمنديل عجري مزركش .. لكن عيني وقعت على امرأة بدينة لطيفة لها عينان مليئتان باللطف والحنان مع لمسة مكر محببة كمكر الأطفال ..

كنت جالسة إلى المنضدة الدائمة التى توجد عليها بنورة سحرية .. وهناك كتاب سميك غليظ .. وعلى كتفها الشال التقليدى الأبدى ..

قالت ( ماجى ) فى دلال :

- « تعال نلق نظرة .. سيكون هذا رائعاً .. »

- « لقد تأخرنا على أبيك .. يجب أن نعود .. »

لاحظ أن أباه ( أرشيبالد ماكيلوب ) لم يكن أباه فقط ، بل كان أستاذاً والمشرف على رسالتى .. والقادر على خراب بيتى فى أية لحظة .. لقد توفى الرجل منذ زمن لكن هيئته لم تفارقنى قط ..

قالت ملحة :

- « أرجوك دعنا نلق نظرة .. سوف يبدو الأمر شاعرياً .. إنها ستكلمنا عن مستقبلنا معاً .. هذا يبدو جميلاً »

هكذا لم يعد بوسعى أن أقاوم أكثر ..

دخلنا الخيمة فى حذر .. فقابلنا العينين الصافيتين الوداعيتين لتلك المرأة .. قالت لنا بصوت يتفق مع وجهها :



- « شابان متحابان .. هذا جميل .. وإن كنت أعتقد أنك من الشرق يا سيدى .. قوم عاطفيون هم .. والآن هل ترغبان فى قراءة كف أم الكرة السحرية أم هى أوراق التاروت ؟ »

قالت ( ماجى ) فى مشاكسة :

- « هل يمكن أن نجرب شيئاً من كل شىء ؟ »

عقدت العرافة يديها أمام ذقنها فى شغف وقالت :

- « سأقدم لكما خدمة من نوع خاص .. سوف أقرأ لكما التاروت

بطريقة خاصة .. طريقة ( كراولى ) .. »

لم أكن وقتها مهتماً بهذه الأمور وبالتأكيد لم أكن سمعت اسم اللعين ( ألستر كراولى ) قط .. ( كراولى ) أشهر سحرة القرن العشرين ، والذي ربط بينه البعض والشيطان ذاته .. فيما بعد عرفت أن الرجل ابتكر طريقة شيطانية لقراءة أوراق التاروت وقد اشتهرت باسمه ..

طلبت منا السيدة أن نقوم بخلط الأوراق ونحن نتأمل فى ذواتنا ثم بدأت توزعها بتلك الطريقة التى عرفتتها فيما بعد ..

قالت وهى تتأمل الأوراق :

- « متحابان نعم .. صادقان .. »

نظرت لـ ( ماجى ) وابتسمت .. لسنا بحاجة إلى مدام ( بلافاتسكى ) لتخبرنا بهذا .. حالة التناغم هذه التى وصفها الشاعر العربى العبقري : « وأحبها وتحبنى ويحب ناقثها بعيرى »

قالت المدام ، وقد بدا القلق على وجهها :

- « لكن هذا الحب مهدد بالانتهاء .. لا أريد أن أشير ذعركما لكن الخطر قريب جداً .. ربما هذه الليلة بالذات .. خذا الحذر .. »

قلت لها فى خبث :

- « هل يتعلق الأمر برجل طويل أسود غامض ؟ »

قالت دون أن تبتسم :

- « نعم يتعلق برجل . لا .. بل يتعلق بامرأة .. امرأة لا أرى وجهها بوضوح .. أعتقد أن أحدكما لن يرى النهار ! »

- « ألا ترين أنك تفعميننا بالتفاؤل ؟ »

- « وهذا يدل على أننى صالحة .. هناك فرق بين العراف الذى يخبرك بما تريد أن تسمعه والعراف الذى يخبرك بما يجب أن تسمعه .. »

قالت ( ماجى ) بلهجة غير المصدق الذى بدأ الأمر يروق له :

- « وبم تنصحيننا إذن ؟ »

- « بالحذر ! »

- « هذا مفهوم .. لكن أى نوع من الحذر ؟ »

صمتت المرأة وكنت أتوقع هذا .. هذه هى اللحظة التى يصمتن فيها .. وهكذا دفعت لها أجرها الذى لم يكن باهظاً وانصرفنا .. فقط تذكرت أن أسألها :



- « لماذا اخترت اسم ( بلافاتسكى ) ؟ »

أخرجت لفافة تبغ وقالت فى غموض :

- « ربما كنت هي ! »

ومشينا فى الشوارع المظلمة أنا و ( ماجى ) .. لم نعط أهمية كبرى لهذا الكلام ، لكنه ترك فى حلوقنا شيئاً مريباً غامضاً .. سمه التشاؤم إذا شئت ..

الآن نمشى فى ذلك الطريق المظلم الذى يمر بمحاذاة الغابة ..

لا أدري متى ولا كيف سمعنا الصراخ .. صراخ امرأة ترقع على ركبتيها إلى جانب الطريق ولا تكف عن العواء ..

دنوت منها لأتبين ما بها ، وهرعت ( ماجى ) من خلفى .. إنها سيدة فى الأربعين لها وجه طويل ناحل وشعر أسود .. معطفها يوحى بالثراء بلا شك ..

قالت المرأة وهى تغطى وجهها :

- « ( دانييل ) ! ( دانييل ) ! »

- « من هو ؟ »

- « ابنى الصغير ! لقد شعر بحاجة إلى تلبية الطبيعة ، فدخل الغابة .. وانتظرتة هنا .. مرت دقائق طويلة ولم يعد .. إننى حائرة .. بحثت عنه وناديتة لكنه لم يظهر .. إنه ضائع فى الغابة ! »

نظرت إلى الغابة المظلمة وشعرت بقشعريرة .. موقف فى منتهى السوء فعلاً ..

احتضنت ( ماجى ) المرأة وقالت لى بلهجة أمرة :

- « ( رفعت ) .. سابقى معها هنا .. حاول أن تجد الصغير .. »

أجده ؟ كيف ؟

ثم عاد ذلك المذاق الكريه الباقى فى حلقى .. أحذكما لن يرى النهار .. فمن ؟

هل من الحكمة أن أتركك مع هذه السيدة التى لم نرها من قبل ؟ وهل من الحكمة أن أصير وحيداً ؟

لو وصفنا الأمر بدقة لقلنا إننا نتصرف بأبعد ما يمكن عن الحذر ..

الآن يمكنك الاختيار ..

لو كنت تريد نهاية سخيفة ، فلتجه للفصل رقم ٢٠

لو كنت تريد نهاية مملة ، فلتجه للفصل رقم ٣٢



وأخرج كتاباً ما إن رأته حتى عرفت أنه هو .. لا شك فى هذا ..  
مثلاً تقابل فتاة أحلامك فجأة فتعرف أنها هى .. كتاب غليظ له غلاف  
جلدى سميك وعليه نقش بارز لشعار لم تره من قبل .. يمكنك أن  
تتصور أن هذا الغلاف يحمى أسراراً بالغة الإمتاع ..

قال لها :

- « هذا الكتاب يتعامل مع كل الأساطير الدرويدية .. إنك سوف .. »

- « شكراً .. شكراً .. سأخذه ! »

ودفعت ثمنه ثم طارت محلقة خارجة من المكتبة .. ظل يرمقها  
حتى توارت بالخارج ثم تنهد .. لم يعد من حقه أن يحلم بقلب فتاة  
كهذه .. لابد أن هناك حماراً ما فى مكان ما سوف يفوز بقلب هذا  
الغزال الرشيق المثقف شديد الرقى ..

★ ★ ★

الحمار كان أنا طبعاً ..

وكننت فى ذلك الوقت فى أسكتلندا غارقاً فى مشاكلى مع الدكتوراه ..  
أتلقي توبيخ أستاذى العظيم ( أرشيبالد ماكيلوب ) فى الصباح ،  
وأخلق فى سموات الحب مع ابنته فى المساء .. الابنة تحبنى والأب  
يلومنى .. لكنى سعيد .. من المريح أن تعتبر رئيسك ( أونكل ) فهذا  
يجعلك تتحمل أى شىء ..

عندما التقينا أنا و ( ماجى ) فى القصر تلك الليلة جلسنا فى البهو،  
بينما ( جراهام ) يقدم لنا العصير ..

- ٥ -

## نداء ( ساوين )

يرفع السيد ( جوردان ) رأسه الذى تعلوه العيونات ليتأمل تلك  
الشابة الرشيقة التى تدخل المكتبة .. لم تكن شابة حسناء بالمعنى  
الحرفى للكلمة ، بل لها ذلك السحر الغامض الذى لا تعرف مصدره ..  
لو أمسكت بورقة وقلم وحاولت أن تدون أسباب جمالها لفشلت ، لكنه  
موجود وساحق ..

كانت شقراء نحيلة فارعة الطول .. ترتدى معطفاً ثميناً من الجلد ،  
وساقاها فى حذاء ذى رقبة يزيدا طولاً .. وكانت على وجهها ضحكة  
قلما تزول ..

قالت له بلهجة أسكتلندية مهذبة :

- « أبحث عن بعض الكتب القديمة .. كتب تتعامل مع الثقافة  
الدرويدية Druidic .. »

هز رأسه فى فهم .. ثم توجه إلى الصندوق الذى يضع فيه الكتب  
القديمة ، وأنزل العيونات على عينه وراح ينقب .. سألها وهو يبحث :

- « هل تدرسين التاريخ ؟ »

- « أنا أدرس الفيزياء بالجامعة ! »

- « هذا اهتمام غريب إذن .. هناك كتاب لا بأس به .. »



قالت لى وهى تضحك تلك الضحكة التى تغمر العالم بالسحر :

- « كل عام وأنت بخير ! »

لهذا يمكنك أن تفهم سبب أننى لا أذكر متى حدث هذا .. صار على كى أتذكر يوم مولدى أن أتفحص البطاقة الشخصية .. كان هذا عيد ميلادى الذى لم يتذكره أحد فى الكون سواها .. ولأسباب ستعرفها حالاً أنا متأكد أننا لم نكن فى الخريف .

مدت يدها لى بالكتاب ..

لم يكن لى أى اهتمام بالأساطير فى ذلك الوقت ، ولم أكن أعتقد فى وجود أى شىء غير مادى لذا بدا لى هذا الذوق غريباً ..

قالت لى :

- « التسلية .. هذا ما أضمنه لك .. ثقى أنه كتاب مسل .. »

فتحت الكتاب ورحت أتصفحه .. معتقدات قبائل الكلت هذه .. ما زلت أخلط بين الكلت والسلت والجرمان والنورديين .. لقد كان شمال إنجلترا فى ذلك الزمن القديم أشبه بمنطقة الترازيت فى مطار كبير .. كل الجنسيات هنا ومن شبه المستحيل أن تعرف من ينتمى لماذا .. ذلك العجين الذى خبزته نيران الحروب فولدت اللغة الإنجليزية ..

كانت بطانة الغلاف سميقة .. تحسستها بيدي فوجدت شيئاً عجيباً .. ثمة شىء هناك تحت البطانة ولا شك فيه ..

بأظفارى مددت يدي أنتزع البطانة مستعيناً بطرف ملعقة الشاى ، فصاحت ( ماجى ) محتجة :

- « توقف ! هذه هديتى ! »

لكنى كنت قد أخرجت الشىء .. إنه قرص من المعدن .. نحاس تغير لونه نقش على شكل زخرفى شديد الإتقان .. وهناك كتابة بخط دقيق جداً ..

قلت لها :

- « هل ترين ؟ لابد أن هذه تساوى ثروة .. »

أمسكت ( ماجى ) بالقرص وراحت تدقق ، ثم قالت :

- « لا أستطيع قراءة حرف واحد .. فقط هناك كلمة واضحة هى Samhin .. يجب أن أعرض هذه غداً على رئيس دائرة التاريخ بالجامعة .. »

- « أرجو أن تفعلنى ذلك فأنا متحمس .. »

قلتها طبعاً بالملل الشديد الذى عرفت به ، وأفرغت كوب العصير فى بطنى ثم أوشكت على النهوض .. لكنها ركضت إلى الطابق العلوى وخلال ثائيتين كانت قد عادت حاملة عدسة وقلماً من الرصاص وورقة .. وفى خفة راحت تمرر طرف القلم مائلاً على الورقة التى ألصقتها بهذا الشىء .. بدأت النقوش تظهر بشكل أوضح على الورقة ..

وضعت العدسة على عينها ، وراحت تقرأ بصوت عال تلك الحروف .. لكنها لم تفهم شيئاً على الإطلاق .. هذه دعاية أو لغة منقرضة ..



فى النهاية راحت تردد :

« ( سامهين ) .. »

ثم توقفت وقالت وقد تذكرت شيئاً :

« الكلت كانوا ينطقون MH كأنهما حرف الواو .. إذن الاسم يُنطق ( ساوين ) .. ( ساوين ) .. هذا الاسم مألوف »

فجأة انقطع التيار الكهربائى !

سمعت ( جراهام ) يصيح متسائلاً ، ثم ظهر بعد دقيقة حاملاً شمعداناً وضعه على المنضدة أمامنا وقال بلهجته الراقية التى تلتف حول المعانى حتى توشك على إزهاق روحك :

« أعتقد أن العطل مؤقت يا سيدتى الصغيرة .. شكراً لله أن سيدى ليس فى القصر هذه الليلة .. »

« شكراً يا ( جراهام ) .. هل لك أن تشعل النار فى المدفأة ؟ »

« سيكون هذا من دواعى سرورى يا سيدتى الصغيرة لو سمحت لى بأن أقول هذا .. »

عندما اتصرف الرجل قلت لها فى عصبية إننى لا اشعر بأية راحة لهذا الانقطاع المفاجئ .. إن توقيت المصادفات لا يتم بهذه السلاسة ..

قالت باسمة وهى تتصفح الكتاب على ضوء الشمعة :

« سوف أتبين الأمر حالاً .. »

ثم قالت بصوت قلق وهى لا ترفع عينها عن إحدى الصفحات :

« ( ساوين ) .. ( ساوين ) .. ها هو ذا .. إله الشمس عند الكلت .. فى الخريف كان الكلت يحتفلون بالليلة التى يستدعى فيها أرواح الموتى ، وكان هؤلاء يبحثون عن أجساد الأحياء ليسكنوا فيها .. فى هذه الليلة بالذات تتلاشى الحواجز بين العالمين ، ويصير الموتى قادرين على اقتحام البيوت ، لهذا كانت القبائل تطفى كل نار فى البيوت ويغادر الناس بيوتهم ليبتوا فى الخارج حول نيران الخلاء .. هذا هو عيد ( الهالوين ) الذى قرر البابا ( جريجورى الرابع ) عام ٨٣٤ ميلادية احتواءه ليضمه إلى المسيحية .. وبهذا لم يظل عيداً وثنياً .. وصار مناسبة لتذكر القديسين أطلقوا عليه اسم All Hallows even .. أى ( الليلة التى تسبق يوم كل القديسين ) .. »

ثم رفعت عينها القلقة نحوى وقالت :

« ( رفعت ) .. إلى أى حد تعتقد أن هذه التعويذة التى نطقت بها تستدعى ( ساوين ) ؟ ألم تفكر فى ذلك ؟ »

الآن يمكنك الاختيار ..

لو كنت تريد نهاية سخيفة ، فلتتجه للفصل رقم ٢٣

لو كنت تريد نهاية ممسلة ، فلتتجه للفصل رقم ٢٦



-٦-

## جاليرى

فيما بعد عرفت أن ( عزت ) قد وجد هذه القاعة الصغيرة فى ذلك المعرض الكبير فى الزمالك ..

كانت أمسية مطيرة وقد خلت الشوارع من المارة ، وكانت أضواء الجاليرى الكبير مضاءة فقرر أن يدخل على سبيل التثقيف الفنى من ناحية ، وعلى سبيل اتقاء المطر من ناحية أخرى ..

كان المكان خالياً تماماً .. لا شىء إلا قاعات واسعة علق على جدرانها اللوحات .. ولم تكن ذات تميز خاص .. لا يدري إن كان هذا بسبب تعكر مزاجه أم لأنها لوحات غير مميزة فعلاً .. البطة والنهر والفلاحة المصرية وإيزيس .. الفن المعتاد .. لا بأس بلوحة تكعيبية هنا أو هناك وكلها رديئة تحاول تقليد ( بيكاسو ) فتنجح فى تقليد ( عبد الفتاح القصرى ) ..

لا صوت إلا خشب الباركيه الذى يحدث صريراً تحت حذائه ، وصوت الأمطار بالخارج .. الدفء الناعس يغريه بالنوم .. كان فى طفولته لا ينام جيداً إلا إذا تدثر بالدفء وحلم بالبرد القارس بالخارج ..

كانت هناك فتاة تجلس جوار دفتر عملاق ، وقد وضعت قلمها مربوطاً بخيط بين دفتيه ، فتناول القلم وكتب بضع كلمات يوافق بها الفنان ..

ثم راح يمشى فى الممرات حتى وجد حديقة أنيقة .. اجتازها وهو يضم يافته ويدفن رأسه فى درفته كالسلحفاة ..

كانت هناك قاعتان صغيرتان .. إحداهما تحوى بعض الأعمال بالحبر الشينى .. أعمال غير متميزة أقرب إلى القبح .. القاعة الصغيرة الأخرى كانت متوارية وراء بارافان وقد علق عليها لافتة تقول ( الفنان عفت الشرشابى ) ..

مد يده المتجمدة إلى المقبض وجرب فتح الباب فافتح ..

غريب هذا !

تتعامل إدارة الجاليرى مع هذا المعرض فى سرية تامة كأنه عار .. لابد أنهم يحملون ألين المشاعر لهذا الفنان بالذات .. لا أحد يغلق باب المعرض ببارافان إلا لو كان يمقت الفنان .

الغريب أن اللوحات كانت قطعة من الفن الرفيع ..

★ ★ ★

كان الأسلوب فريداً من نوعه . هناك مزج أستاذى للألوان مع لمحة واضحة من المدرسة التأثيرية .. وكانت اللوحات صغيرة متماثلة الحجم .. تقترب أبعاد اللوحة الواحدة مع الجريدة اليومية لو طويتها نصفين .. فى الحقيقة لم يكن ما فى اللوحات من فن هو المهم ، بل هو ما لم تقله هذه اللوحات .. ثمة قصص سمعها فتبهرك لأنك تشعر بأن لدى الشاعر الكثير جداً مما لم تقله القصيدة .. كان



هذا شأن اللوحات ، فهي لم تحو كل الروعة التي تثيرها فيك .. لو أنك وزنت ما في اللوحة من فن بالجرام لوجدت أنه قليل .. بينما اللوحة نفسها تزن أطناناً ..

الحقيقة أن ( عزت ) لم يشعر بشيء مماثل من قبل إلا أمام لوحة ( الصرخة ) لـ ( مونش ) .. مجرد لوحة بسيطة جداً ويسهل أن تقلدها لكنها تحوى أضعاف ما يبدو على سطحها ..

وقف يشاهد هذه الروعة ولم يشعر بأن هناك من يقف وراءه منذ دقائق ..

فقط شعر به عندما شم رائحة التبغ ( والتدخين كان ممنوعاً في هذا الجاليري ) ..

نظر إلى الوراء في ذهول فوجد رجلاً نحيلاً فارح الطول له شارب رفيع وعينان عميقتان مخيفتان .. عينان تشغلان نصف الوجه تقريباً بحيث تنسى إن كان للرجل أنف أم لا ..

كان الرجل يضع لفافة تبغ بين شفتيه ويتأمل ذات اللوحة في نهم ثم نظر إلى ( عزت ) وقال :

- « أعجبتك ؟ »

- « أنا مذهول .. »

قال الرجل :

- « إذن سوف تكتب لى كلمتين في دفترى .. أنت رجل ذواقه وتستحق مكافأة صغيرة .. »

سأله ( عزت ) مرتبكاً :

- « إذن أنت .. أنت .. »

- « ( عفت الشرشابي ) .. نعم .. لنقل إن هذا اسمى . مؤقتاً ! »

- « هل درست الفن ؟ »

- « درسته في كل مكان تقريباً .. »

هل قال الرجل: ( لنقل إن هذا اسمى . مؤقتاً ! ) ؟ ما معنى هذا ؟ غريب جداً ..

اتجه ( عزت ) ليكتب كلمتى مديح فى الدفتر ، فقال له الرجل وهو يهم بمغادرة المكان :

- « أنصحك أن تتأمل اللوحات جيداً .. إنها مفيدة لك فعلاً .. »

ثم غادر المكان .. شعر ( عزت ) بغرابة هذا كله .. هناك قدر لا بأس به من الغرور لدى هؤلاء الفنانين ، لكن لا بأس .. طيلة اليوم يقابل أشخاصاً تافهين خالين من أى شيء سوى الغرور .. فليقبل الغرور مرة من شخص موهوب ..

انتهى من كتابة التعليق ، ثم عاد يتأمل اللوحات ..

كانت اللوحة الأولى تمثل شاباً نحيلاً أسمر يمشى تحت الأمطار وهو يدارى رأسه فى سترته كدرقة السلحفاة .. اللوحة الثانية تظهر ذات الرجل النحيل يقف وسط لوحات معلقة على جدار ويكلم رجلاً نحيلاً أسمر ذا شارب وعينين عميقتين ..



هناك لوحة تمثل ذات الرجل النحيل ( رقم ١ ) وهو يدون كلمات في دفتر ..

تتابع اللوحات .. هناك لوحة تظهر الرجل ينزلق وسط الأوحال بينما كشافات سيارة قادمة من بعيد .. في لوحة أخرى يرى الرجل النحيل يقف مع امرأة حسناء تحت الأمطار .. في لوحة أخرى يرى ذات الرجل النحيل وهو يصرخ هلعاً بينما أمامه وحش مريع .. هذا الوحش يتحرر من وجه ممزق لفتاة جالسة كأنه كان يتوارى خلف قناع وجهها ..

هناك لوحة تظهر النحيل يجري خائفاً .. ثمة لوحة تظهره على الأرض جثة ممزقة والكلاب تلتهمها .. هناك لوحات ناقصة .. أى أن مكانها موجود لكن يبدو كأنها بيعت أو رفعت .

ما معنى هذا ؟ يبدو أقرب إلى فن الشرائط المصورة ( سترييس ) .. لماذا يحب الفنان هذا الموديل النحيل الأسمر القبيح ؟ ( رينولدز ) لم يرسم تقريباً سوى طفلة حسناء واحدة في كل لوحاته .. لكن هناك فرقاً بين الموديلين ..

وفجأة فطن ( عزت ) للحقيقة ..

هذه اللوحات تظهره هو نفسه ! أول ثلاث لوحات قد مرت به فعلاً خلال ربع ساعة !

★ ★ ★

حينما غادر الجاليري كان متوتراً بحق ..

تمنى لو قابل ذلك الفنان ليشرح له كل شيء لكنه لم يره ..

حينما خرج إلى الشارع لم يكن المطر قد انقطع ، فرفع سترته إلى أعلى عنقه وهم بالعبور .. فقط لتنزلق قدمه في بركة ماء على جانب الطريق ..

وجد نفسه ينزلق .. وفي ذات اللحظة رأى كشافات سيارة مسرعة قادمة نحوه ..

الآن يمكنك الاختيار ..

لو كنت تريد نهاية سخيفة ، فلتتجه للفصل رقم ١٦

لو كنت تريد نهاية مملّة ، فلتتجه للفصل رقم ٢٨



- « كلنا سنموت يوماً ما .. »

فاستبد به الغضب وضرب ( تابلوه ) السيارة بقبضته صائحاً :

- « يا أخى .. فال الله ولا فالك .. »

كأن هذا كافى لا يموت الرجل .. هكذا آثرت الصمت ..

كانت بناية أنيقة فاخرة تلك التى دخلناها فى هذه الساعة المتأخرة ، ولم يكن هناك بواب .. ركبنا المصعد إلى الطابق الخامس ، ثم اتجه ( عزت ) إلى شقة وسط غابة من نباتات الظل فعالج قفلها بالمفتاح .. هكذا فهمت أن أباه الروحى هذا يثق به فعلاً ..

نحن الآن فى شقة واسعة يبدو أن فنان ديكور موهوباً اعتنى بها .. لكنى كدت أجن عندما فهمت فعلاً مدى عبقرية هذا الفنان .. لقد كانت مقسمة إلى قطاعات .. قطاع منها عبارة عن أدغال بأشجارها ، وديكور لينبوع ماء يتدفق ودمى قرودة ووحوش متناثرة .. قطاع عبارة عن خيمة عربية بطنافس و( دلة ) ومباخر وتمائيل لراقصات شرقيات وعازف عود .. قطاع عبارة عن عالم فضائى كامل بجدران سود تتناثر فيها مصابيح كأنها النجوم وأرضية تذكرك بسطح القمر .. لم أر الباقى لكن أفقدنى ما رأيته صوابى .. ما كل هذا الثراء ؟ الثراء الذى يسمح لك بتحقيق حلم طفولى غال كهذا .. امتلاك ( ديزنى لاند ) فى شقتك .. فى هذا المكان لن تشعر بالملل أبداً .. سوف تمضى ثلاثة أيام فى عالم الفضاء وثلاثة أيام فى جو البازار الشرقى وثلاثة أيام وسط مخاطر الأدغال .. الخ ..

-٧-

## إنه يتحرك !

كل تجارب ( عزت ) تستحق الذكر .. إن هذا الذئب المتوحد غريب الأطوار لا يقابل أبداً شيئاً معتاداً أو مملأً ..

بدأ كل شيء فى تلك الليلة السوداء التى دق فيها بلبى فى عنف ، ففتحت وأنا أجفف نقى التى كنت أحلقها .. رأيته شاحباً أكثر من المعتاد يرتجف هلعاً وقد راح يذرع مدخل شقتى فى دوائر متصلة كذئب حبيس ..

- « لعله خير ؟ »

قال وهو يرتجف :

- « يجب أن تأتى معى حالاً .. هات أدوات الفحص ولنذهب .. »

فهمت أن الأمر يتعلق بمرضى .. لكن من ؟ هل لـ ( عزت ) أصدقاء ؟ سيكون هذا شيئاً فريداً من نوعه .. هكذا استقللنا سيارتى وانطلقنا فى شوارع القاهرة الغافية .. كان العنوان الذى يقصده فى حى المهندسين ، وفى الطريق القصير قال لي :

- « تعرف أنتى لم أعد أحترم أحداً .. لكن هذا الرجل من آخر الرجال المحترمين .. الجيل الذى انقرض أو كاد ، وهو يعتبرنى ابناً له .. لن أتحمل أن يحدث له شيء .. »

قلت له فى لطف كى ينسى مخاوفه :



قلت همسًا لـ ( عزت ) :

« صاحبك هذا سيكون أحمق لو مات ! من يترك هذه الروعة أحمق .. »

قال وهو يتقدم وسط الأحرش :

« إن ( أنيس الفخراني ) رجل ذو خيال .. وهو لا يتوقف عند حد في سبيل تحقيق ما يحلم به .. هذه نعمة عدم الزواج .. أنت تجد معك مالاً .. ثم إنه قد صمم أكثر هذا بنفسه .. »

غريب هذا ! لم يلحظ أننا لم نتزوج ومع ذلك نحن مفلسان كالأمميا ..

فقط كان هناك جدار يختلف عن الآخرين .. كله قبح وقذارة .. وقد ألصقت صحف قديمة على بقايا صمغ .. وكان هناك مرحاض حقيقي عليه صراصير مية ( اعتقد أنها محنطة ) .. مرحاض في الصالة ؟

أخيراً وسط الأحرش نجد تلك الخيمة التي يغمرها ضوء أزرق كضوء القمر .. ننحنى للدخول فنرى ذلك الفراش الذي يرقد عليه شيخ في السبعين كثر الحاجبين محتقن الوجه له لحية من الطراز الذي يحبه الفنانون .. كان ضامراً جداً حتى إنني قدرت وزنه بأربعين كيلوجراماً .. لو لم يكن مصاباً بسرطان فأنا أجهل من دابة ..

قال ( عزت ) كلاماً كثيراً على غرار ( هذا هو رفعت .. إنه بارع .. سوف يتمكن من .. الخ ) .. فهز الرجل رأسه في وقار وقال :

« لا اعتقد أن كل أطباء الكرة الأرضية قادرين على عمل شيء .. لكن دع صديقك يجرب ! »

كانت لكنته أقرب إلى الأجنبية ، وقدرت أنه من الفنانين الذين قضوا أكثر حياتهم بالخارج حتى نسي العربية أو كاد ..

فجأة تذكرت أنني لم أعرف في أي شيء هو فنان .. هل النحت أم الديكور ؟ قررت أن أسأل ( عزت ) فيما بعد وفحصت الرجل . كانت القصة واضحة وهو لم يخف أية تفاصيل .. سرطان البروستاتا الذي أرسل هداياه القاتلة إلى كل جزء من عظامه حتى لم يعد قادراً على المشي ..

« يجب أن تكون في المستشفى الآن . »

« أنا قادم من هناك منذ ساعات ! »

بالطبع ليس في جعبتي ما أقدمه سوى بعض المسكنات .. هنا يغلغ الطبيب حقيقته ويترك الأمر للمعالج الكيماوي أو الحاتوتي .

قال وهو ينهي الأمر في نفاذ صبر :

« الأمر بسيط .. أريد بعض الحقن المسكنة التي تجعل النهاية غير أليمة .. »

هكذا مددت يدي في الحقنية فانتقيت أمبول ( مورفين ) وحقنته بجزء منه ، ثم قلت لـ ( عزت ) :

« يمكن استكمال الحقن كلما عاد الألم .. هذه مهمة تحتاج إلى تمريض »



- « أنا سأفعل .. »

وكان من الواضح انه سيقضى بقية حياته مع الرجل حتى يموت أحدهما .. لذا قدمت له بعض التعليمات وأضفت :

- « لا أريد انفعالات .. أنت مؤهل بشدة لتسببه إلى القبر مع مرضك العضال هذا .. »

وطلبت السماح لى بالانصراف ، فراح الرجل يعبث تحت الوسادة بحثًا عن شيء عرفته ، فقلت وأنا أتجه للباب :

- « لن أتقاضى أجرًا .. أنت صديق ( عزت ) »

وعلى الباب ودعت ( عزت ) ثم سألته عن نوع الفن الذى يمارسه هذا الرجل ، فنظر لى مبهورًا ثم أشار إلى الجدار العملاق الذى تناثرت عليه الصحف ووضع المرحاض فى أسفله ، وقال :

- « هذا هو ! إنه أستاذ فى الأعمال الفنية المركبة ! »

- « تعنى الأعمال الصحية المركبة على ما أعتقد ؟ »

لن يحترم ما أقول أبدًا وسوف يتهمنى بالجهل .. لكن لو كان وضع مرحاض كامل عليه صراصير فى الصالة عملاً فنياً ، فالفن عمل قذر وغير أخلاقى بالمرّة .. هذا رأى مهما قالوا لى ..

★ ★ ★

فى الرابعة صباحًا توفى ( أنيس ) .. عرفت هذا لأن ( عزت )

اتصل بى وأخبرنى بهذا ..

قال إن المتوفى راح فى غيبوبة منذ ساعة ثم شهق .. وتوقف نبضه وتنفسه ..

- « هل أنت متأكد مما تقول ؟ »

- « لقد رأيت الموت من قبل يا ( رفعت ) .. »

- « هل ترى أن أتى لك ؟ »

- « ليس فى الرابعة صباحًا .. ثم إن قدومك لا جدوى منه .. »

كان متماسكًا وإن التقطت أذنى تلك النغمة المشروخة المتحشرجة تحت طبقة الهدوء .. لديه رصيد لا بأس به من الألم لكنه يؤجله .. أعرف أن ( عزت ) هو الإخلاص يمشى على قدمين ، ولسوف يبرهن للفنان المتوفى على أنه ابنه الروحى فعلاً ..

هكذا وضعت السماعة شاعرًا بالأسى .. كان ذلك الرجل يتكلم معى منذ ساعات وكاد يدفع لى أجرًا .. أعددت لنفسى بعض الشاى لأن يومى فى ذروته كما تعرفون وجلست أطلع الصحف ..

فجأة دق الهاتف من جديد ..

كان هذا ( عزت ) كما توقعت ..

- « ( رفعت ) .. إنه يتحرك .. »

قلت باسمًا :



- « توقعت هذا .. صدقتى إن تشخيص الوفاة صعب .. صعب جداً وإبنى لمندھش لكون الناس يمارسونه بهذه البساطة .. »

قال فى إصرار :

- « بل هو ميت يا ( رفعت ) ! »

- « قلت إنه يتحرك .. »

- « نعم يتحرك .. وأنا أعرف أن هذا مستحيل لكنها الحقيقة .. لقد غادرت الغرفة ونمت قليلاً وسط قطاع الخيال الشرقى .. عندما فتحت عيني وجدته جالساً على الطنافس .. لم يكن حياً بل كان ميتاً .. فقط هو فى وضع يوحى بالجلوس .. أصابنى الذعر وتركته حيث هو واتجهت إلى قطاع رعاة البقر .. أنت لم تره .. هناك صالون وديكور حانة وتمائيل خيول .. تمددت على فراش هناك وحاولت أن أغمض عيني لكن هذا مستحيل .. ثم خيل لى أن هناك من يوجد معى فى ذات الحجرة .. رفعت رأسى فوجدته راقدًا هناك على السياج الخشبى الذى يربط رعاة البقر خيولهم له .. ( رفعت ) ! أنا موشك على الجنون .. »

قلت له فى كياسة :

- « لا أرى تفسيراً سوى أنها حالة موت مزيف .. هناك ألف قصة لـ ( إيجار آلان بو ) لها هذا المحور . لكن لا أعرف لماذا لا تغادر الشقة ؟ »

قال بصوت كالنحيب :

- « لا أعرف كيف أعود لدارى فى ساعة كهذه .. هل يمكنك أن .. هل تسمح لى أن أقترح ؟ هل يمكن أن ... ؟ »

قلت وأنا أضع السماعة :

« ليكن .. فهمت .. تريد أحقق معك فى هذه الساعة .. لقد أحسنت الاختيار ! »

الآن يمكنك الاختيار ..

لو كنت تريد نهاية سخيفة ، فلتجّه للفصل رقم ٢٤

لو كنت تريد نهاية مملّة ، فلتجّه للفصل رقم ٣١



- ٨ -

## أعرف ما تقولون

عندما توفي ( أنيس الفخراني ) الفنان العائد من الخارج ، الذي يعتبره ( عزت ) أباه الروحي ، كان على ( عزت ) أن يمضى عدة أيام يصنف تلك الأشياء في بيت الرجل بالتعاون مع ابنه الوحيد ( مصطفى ) .. لم يكن ( مصطفى ) مهتمًا بالفن ، ولم يتأثر لحظة لوفاة أبيه الذي لم يره منذ أعوام برغم أنه كان على بعد نصف ساعة من داره تقريبًا ..

كل ما كان ( مصطفى ) يريده هو البحث عن العقارات وحسابات المصارف التي لدى أبيه .. كان الفقيد ثريًا بدون شك والدليل على هذا ديكور شفته الغريب المبهر .. هذه الأشياء تكلف مالا .. لكنه كان عاجزًا من دون ( عزت ) لأن هذا الفتى الأسمر السقيم يعرف كل شيء هنا ..

كان ( عزت ) يتوقف أمام سكتش صغير أو صورة فوتوغرافية للوحة ، ويهتف :

- « تأمل هذه الروعة ! »

فكان ( مصطفى ) يقول بلا اكتراث :

- « جميل .. جميل .. »

ثم يطوح السكتش أو الصورة جانبًا ويواصل البحث متذمرًا :

- « هذا ليس بيتًا .. إنه سيرك .. أدغال ونجوم و .. و ... لو عرفت بهذا لرفعت عليه قضية حجر .. »

كان ( عزت ) ينظر للرجل في ذهول .. كان يقرأ عن العقوق لكنه لم يعاينه بهذا الوضوح وهذه الفجاجة من قبل .. لولا التعقيدات القانونية لتكفل هو بكل شيء .. إن وجود هذا الوغد هنا يضيف على الموضوع ابتذالاً وعدم احترام .. يتمنى أحيانًا أن يهشم أنفه ، لكنه يعرف أنه ليس من حقه أي شيء ومن السهل أن يطرده ( مصطفى ) متى أراد ..

قال ( عزت ) لـ ( مصطفى ) في شبه توسل :

- « هل أحتفظ بتلك اللوحات على الأقل ؟ »

قال الرجل في ملل :

- « خذ هذه القمامة بأية كمية تريد .. لا أريد شيئًا من هذا هنا .. سوف أجلب عمالًا هذا الأسبوع لينظفوا كل هذه الأشجار والصخور .. ستصير الشقة جاهزة للبيع .. »

كان الآن قد وضع عويناته وراح يفحص مجموعة من الأوراق والعقود ..

اتجه ( عزت ) إلى خزانة كبيرة من الطراز الذي تحفظ فيه اللوحات العملاقة وراح يبحث عن ميراثه الخاص .. هنا وجد جسمًا مستطيلًا ملفوفًا بعناية في ورق براق من الذي تحفظ فيه الهدايا ..



بدأ يمزق الورق متوقعاً أن يجد آيات قرآنية أو ( تابلوه ) .. لكنه فوجئ بلوح من الفخار تناثرت عليه علامات رأسية وأفقية كلها تستعمل وحدة واحدة هي تقريباً حرف T اللاتيني ..

هذه كتابة مسمارية .. لا شك في هذا .. الكتابة التي كانت مستعملة في بلاد ما بين النهرين ، والتي فك رموزها الألمانى ( جروتنفند Grotenfend ) ، والتي سبقت الأبجديات المعروفة بـ ١٥٠٠ سنة . اللغة التي ابتكرها السومريون ثم تبناها الآشوريون والبابليون .

ما معنى هذا ؟ ولماذا يحتفظ الفقيد بهذا اللوح ؟

★ ★ ★

عندما عاد ( عزت ) إلى شقته شعر بدهشة بالغة عندما فتح اللوح وأعاد تأمل الكتابة .. من المستحيل أن تزعم أنه يجيد الكتابة المسمارية ، لكن الكلمات صارت واضحة فجأة :

- « من يمتلك اللوح لا يمتلك بالضرورة المعرفة . إنك إن تقرأ هذه الحروف قد امتلكت حكمة ( أوتنابشتيم ) لأنك المختار كى يمتلكها .. »

ما معنى هذا الكلام ؟

المخيف هو تلك الموهبة التي حطت عليه فجأة .. لقد قضى ( جروتنفند ) حياته كلها محاولاً فهم نص واحد ، والآن أنت تقرأ هذه العبارة الصعبة بلا مشاكل ..

هذا سحر لا شك فيه ..

معنى هذا أنك تعرف .. لكن تعرف ماذا ؟

« هلمى .. إن هذا الخبز طازج »

« لا أعتقد هذا .. مذاقه كريه .. لكن الجائع لا يدقق »

سمع هذه الكلمات من مكان ما ف شعر بالحيرة .. هل هناك شخص معه فى الشقة ؟ كلا .. الصوت قادم من وراء الباب .. فتح الباب فلم ير أحداً .. فقط قطنتين تعبثان بقمامة الجيران .. يبدو أن ( رفعت ) خارج البيت ..

عاد إلى الداخل فعاد الصوت يتردد :

- « لماذا لم تفرى ؟ »

- « لم أقو على ذلك .. كنت جائعة ثم إنه يبدو مسالماً .. »

خرج إلى الشرفة حائراً يبحث عن مصدر هذه الأصوات .. لكنه لم يسمعها .. فقط سمع صوتاً غليظاً متحسراً يقول :

- « أنت سريع جداً .. لا تنس أننى من لحم ودم »

نظر إلى الشارع الذى غمره الظلام فلم ير أحداً باستثناء شاب على دراجة يركض خلفه كلب صغير من نوع ( اللولو ) .. من أين جاء الصوت ؟

« هلم ادخل .. إن قبضتى تتخلى عن الجدار »



هذا الصوت العجيب الخفيض .. ما مصدره ؟

نظر للسقف فلم ير شيئاً سوى ذلك البورص الصغير الملتصق به .. كان يمقت تلك الزواحف الكريهة لذا عاد للداخل وأغلق الباب ..

فجأة بدأت الفكرة تتضح ببطء .. تتجمع كما تتجمع السحب فى السماء .. غريبة مفزعة لكنه بدأ يستوعبها ببطء ..

لقد صرت قادراً على سماع خواطر الحيوانات !

« إنك إن تقرأ هذه الحروف قد امتلكت حكمة ( أوتنابشتيم ) لأنك المختار كى يمتلكها .. »

هل ( أوتنابشتيم ) هذا كان يقدر على سماع خواطر الحيوانات ؟ لا يعرف .. لكنه يعرف يقيناً أنه فى ربع الساعة الأخير امتلك موهبة مخيفة بحق ..

إنه المختار .. إذن ليس بوسع كل من رأى هذا اللوح أن يفهم ما كتب عليه .. فقط من يفهم يملك القدرة .. ترى هل كان ( أنيس ) قادراً على قراءة هذه الكلمات ؟

الآن يمكنك الاختيار ..

لو كنت تريد نهاية سخيّة ، فلتتجه للفصل رقم ١٨

لو كنت تريد نهاية مملة ، فلتتجه للفصل رقم ٣٠

-٩-

## إيرين قد عادت

كانت سيارة ( ماجى ) الصغيرة تنتظرنا عند مغادرة المقبرة .. عرضت على أن أقود فرفضت .. لم أستطع قط أن أبتلع وضع المقود إلى اليمين تلك العادة البريطانية البذيئة ..

قالت لى بلهجة لا عاطفة فيها :

- « لقد ماتت ( إيرين ) .. »

ثم انفجرت فى البكاء فجأة وبلا سابق إنذار .. وضعت رأسها على كتفى وراحت تبكى .. كنت أحب ( ماجى ) ولا أعرف شيئاً عن ( إيرين ) ؛ لذا بكيت ..

★ ★ ★

( إيرين ) عجوز بريطانية طيبة من الطراز الذى يصفه أدينا ( محمد عفيفى ) بـ ( عجائز لندن اللعينات ) .. إنها ذلك النمط الذى يحب الأزهار ولديه قط ، ويضع بول - أوفر على كتفيه ويشغل التريكو طيلة اليوم .. الطراز الذى يصنع فطائر الخوخ ويتكلم عن الطقس للأبد ..

لم تكن تعيش فى لندن ولكن فى إنفرنسشاير .. وكانت ( ماجى ) تزورها كثيراً حيث تجلسان فى الشمس تحتسيان الشيكولاته الساخنة ..



- « إلى الأبد ؟ »

- « ماذا ؟ »

- « ستظل تحبني إلى الأبد ؟ »

أقول في صدق :

- « وحتى تحترق النجوم .. وحتى .. »

ثم أتوقف لأن شيئاً لا بد أن يحدث ..

هكذا دارت عجلة السنين حتى تلقيت هذا الخطاب الغريب من  
( ماجى ) بعد حوالى خمسة عشر عاماً من وفاة ( إيرين ) :

الاعز ( رفعت ) :

ثمة أشياء غريبة تحدث هنا .. هل تذكر ( إيرين ) ؟ صديقتى  
العجوز التى بكيت كثيراً عندما دفنتها ؟ حسن .. لقد عادت !

قبل أن تظن بعقلي الظنون دعنى أحكى لك أننى أعيش وحيدة كما  
تعرف بعد وفاة أبى .. فى تلك الليلة جاء ( جراهام ) الوفى ليخبرنى  
أن سيدة مسنة تنتظرنى ..

- « من هى ؟ »

- « لم نقل .. قالت إنك تنتظرينها »

أنا أمقت هذه الزيارات التى تتم من دون موعد مسبق .. لكنى على كل  
حال فرغت من أوراقى ونزلت إلى البهو لألقى تلك الزائرة .. فوجئت بأنها

( ماجى ) تحب العجائز الطبيبات خاصة حينما يبلغن السن التى تصير  
فيها الرحلة للعالم الآخر مجرد نزهة قصيرة ..

فى يوم من الأيام أصيبت ( إيرين ) بارتفاع حاد فى ضغط الدم ..  
يبدو أنها كانت مصابة بتكيس شريائى فى المخ سرعان ما انفجر  
وحملوها إلى المستشفى حيث ماتت ..

كانت جنازة مهيبة حزينة فى يوم من أيام الصيف التى تحبها ..  
أزهار كثيرة وضعت فوق القبر .. وموعظة باللكنة الأسكتلندية لم  
أفهم شيئاً منها .. ( ماجى ) بكيت كثيراً جداً ..

كنت أحب ( ماجى ) ولا أعرف شيئاً عن ( إيرين ) ؛ لذا بكيت ..

★ ★ ★

أنهيت أعوام دراستى وعدت إلى مصر لتبدأ حياتى الصاخبة التى  
تعرفونها جيداً .. أشباح والغاز ومومياوات .. وببطء بدأت أدرك أن  
العالم مزدحم فعلاً بأشياء لا نعرفها .. أنت لست وحدك على  
الإطلاق .. علامات استفهام فى كل ركن ، لكنك سوف ترحل تاركاً  
ذات العلامات لأحفادك ..

ظلت قصة الحب المستعرة بينى و ( ماجى ) .. أحياناً كنت أسافر  
لها كما حدث عندما رأيت وحش ( لوخ نس ) ، وأحياناً تأتى هى لى  
كما حدث مع ذلك السفاح الذى كان يطاردها ..

وفى كل مرة تسألنى :



( إيرين ) بشحمها ولحمها .. كانت تضحك .. والغريب أنها كانت فى ذات حالتها قبل الرحيل .. خمسة عشر عامًا لم تترك عليها أى أثر ..

أجفلت وتراجعت وكدت أصرخ ، لكنها بدأت تتكلم .. تتكلم بصيغة عادية تمامًا كأنها لم ترحل قط .. تتكلم عن الطقس وعن فطائر الخوخ والقسط الصغيرة ..

أخت لها .. هذا مؤكد ..

سألته عن اسمها فقالت فى دهشة :

- « هل نسيت ( إيرين ) يا ( ماجى ) ؟ ( إيرين ماكفرسن ) صديقتك العجوز .. »

- « ( إيرين ) ماتت »

هنا سألت دمة على خدها وأخرجت منديلها المزركش بالادانتيليا وقالت :

- « ( ماجى ) .. كيف صرت بهذه القسوة ؟ »

كان قد فاض بى .. لا وقت عندي لهذه الدعايات العملية .. لذا صحت منادية ( جراهام ) :

- « تأكد من أن السيدة قد غادرت البيت ولن تعود له ثانية .. »

نظرت لى نظرة طويلة .. أقسم أن هذه المرأة تسخر منى فى سرها .. لا أعرف من دبر لى هذا المقلب لكنه مخطئ لو ظن أننى سأصاب بذعر ..

ورأيتهما تتجه للباب مع ( جراهام ) .. فعدت غاضبة إلى مكتبى وعملى ..

فى اليوم التالى تذكرت ( إيرين ) العزيزة .. شعرت بحنين لها ففكرت أن أزور قبرها وأضع باقة أزهار هناك .. لم أفعل هذا منذ عشرة أعوام ..

ترجلت ومشيت وسط هذا الطقس الجميل الذى كانت تحبه .. هناك من حاول أن يعبث بعواطفى الثمينة .. بمقدسات ذكرياتى .. لكنه سيدفع الثمن ..

لم يكن القبر هناك .. بالواقع لا شئ على الإطلاق ..

كانت هناك حفرة قبيحة المنظر وشاهد القبر مقلوب ، بينما هناك كومة من الغبار والأزهار الذابلة جواره .. من فعل هذا ؟ من جرف ؟

جاء حارس المقبرة العجوز ، ورأى ذهولى فنزع قبعة وقال بوقار :

- « نباشو قبور يا سيدتى .. حدث هذا منذ ثلاثة أيام .. هناك مجموعة من الشباب غريبى الأطوار يترددون على المقبرة من حين لآخر .. لقد أبلغت الشرطة بأمرهم .. اعتقد أنهم من فعل ذلك .. إن عبدة الشيطان هؤلاء يحتاجون إلى جنث بشرية طيلة الوقت .. دعك من طلبية الطب . »

سألته وصدري يعلو ويهبط :

- « هل رأيتهم يفعلون ذلك ؟ »



- « لا .. لكن ما معنى قبر تم نبشه وسرقة الجثة منه ؟ الموتى لا يفعلون ذلك .. »

ثم سألتني في حذر وهو يتفحص الشاهد المقلوب :

- « ( إيرين ماكفرسن ) .. هل هي أمك ؟ »

- « شيء كهذا .. »

قلتها وأنا أتجه إلى السيارة ..

ما رأيك في هذا كله ؟ أعرف أنه يبدو غير مترابط لكنه حقيقي ..

الآن يمكنك الاختيار ..

لو كنت تريد نهاية سخيفة ، فلتجه للفصل رقم ١٥

لو كنت تريد نهاية مملّة ، فلتجه للفصل رقم ٣٤

- ١٠ -

## اللاما العظيم

في قرية ( تو جيغى ) بالتبت تم اللقاء الأول بين الكاهن الأخير و ( جيدون شوكى نيما ) .. إنه فيما يقولون التناسخ العاشر للاما ( باتشن رينبوش ) العظيم ..

برغم أن ( النافاراي ) لا يؤمنون بالتناسخ ، فقد كانوا يحترمون عقائد الآخرين ..

وقد دخل ( هن - تشو - كان ) الدير على ركبتيه حتى صار أمام اللاما فمرغ جبينه في الثرى .. عندما رفع رأسه وجد أن ( شوكى نيما ) يجلس القرفصاء لكنه على ارتفاع متر عن الأرض .. شيء كهذا يطير صواب الفلاحين ، لكن ( هن - تشو - كان ) قام بنفسه بأشياء مماثلة مراراً ، ويعرف أنه لا معجزات هنا إلا معجزة التركيز الذى يصل إلى درجة ذوبان الذرات فى الذرات .. ( النافاراي ) يصنعون مثل هذا وأكثر ..

قال اللاما العظيم :

- « أنت ( نافاراي ) .. عرفت هذا من ثيابك .. »

يقول الكاهن الأخير وهو يطرق برأسه :

- « يطلقون على الزهرة الزرقاء أيها اللاما العظيم .. »



- « وأنت لا تؤمن بنا . لا تؤمن بي .. »

- « تعلمت أن أحترم معتقدات الآخرين أيها اللاما العظيم .. »

ارتفع اللاما إلى أعلى أكثر وأغض عينيه وبدأ يتكلم بصوت خفيض :

- « عندما تحلق النسور الحديدية ، وعندما تركض الخيول على عجالات .. سوف يتفرق أهل التبت في الأرض وتصير الدارما dharma في أرض الرجال الحمر .. »

ثم ارتفع إصبعه ليشير إلى ( هن - تشو - كان ) :

- « النافاراي يقتل من استضافه .. رجل البحر الأسمر يلقي حتفه على يد زهرة زرقاء عندما يعود تناسخ اللاما إلى صبي من ( لهاسا ) .. »

ثم بدأ يهبط إلى الأرض .. وفتح عينيه ..

كان ( هن - تشو - كان ) يعرف التقاليد .. لا يمكنه الاستفسار عن أي شيء لأن هذه غيبوبة .. اللاما نفسه لا يعرف ما قاله ..

كانت النبوءة خطيرة ؛ لأن الدارما هي قوة الكون ذاتها ومن العسير تصور أن تسلب من التبت ..

لكن ( هن - تشو - كان ) قدر أنها هذيان على الأرجح ..

لم يصرح بهذا بل خفض رأسه وتراجع إلى الخلف دون أن يعطى اللاما ظهره ..

في دير النافاراي قابله الأخ ( مياتج ) فسأله :

- « هل ذهبت إلى ( تو جيجي ) أيتها الزهرة الزرقاء ؟ »

هز ( هن - تشو - كان ) رأسه وابتسم ساخرًا ..

هنا بدا الغضب على وجه ( مياتج ) وقال في حدة :

- « لا تسخر منهم .. إنهم يعلمون الكثير .. أرسلتك كي تسمع منهم وتفقد كبرياء النفس .. أسوأ أنواع الكبرياء أن تعتقد أنك تحتكر الحقيقة وأن من عداك لا يملك منها شيئاً .. طلبت منك أن تقدم له الاحترام وأن تمرغ رأسك في الغبار أمامه .. »

- « وقد فعلت أيها الأخ ( مياتج ) .. لكن لم أتجاوز هذا .. معنى أن أصدق نبوءته أن أصير منهم .. معنى أنني نافاراي هو أنني أراهم على خطأ .. »

أشار له الأخ ( مياتج ) غاضبًا باتجاه القرية وقال أمرًا :

- « الآن تعود .. الآن تمرغ رأسك أمامه وتصغى له .. »

- « لكنني أرهقت من طول الرحلة .. »

- « الآن تعود .. »

هكذا وجد الفتى نفسه عائدًا لذات القرية .. الأخ ( مياتج ) لا يكرر الأمر مرتين ..



وتمر الأيام ويحدث ذلك الانتقال الغريب للفتى عبر الزمان والمكان ليجد نفسه فى قريتى ( كفر بدر ) .. تلك القصة التى حكيتها لكم من زمن وأحسبكم تذكرونها ..

طبعاً نسى كل شىء عن هذه النبوءة ..

تحولات كثيرة مرت به كما تعرفون ..

إنه اليوم شاب وسيم عصرى يضع عوينات سوداً ويلبس بذلة أنيقة ، وقد نجح فى العمل مع الصينيين الذين يمقتهم ، لكنهم أداته الوحيدة للعودة إلى التبت .. لقد عاد إلى هناك حيث يمضى أغلب الوقت لكنه يعود لمصر كثيراً جداً ولا بد أن ألقاه فى كل مرة ..

كما قلنا كان يترجم لغات التبتيين ويتفاوض مع الرهبان .. كان سعيداً لأن هذا وسطه الطبيعى ..

ذات يوم جاء مجموعة رهبان من دير ( تاشيلونبو ) .. إنهم بوذيون كما تعرف ..

بعد طقوس التحية واحتساء الشاي بالزبد نظر له كبيرهم نظرة طويلة مدققة وقال :

— « نحن نطلب وساطة للاتصال ببيكين .. إننا نجرى طقوس تنصيب اللاما الجديد .. »

هز رأسه فى احترام فقال الراهب :

— « لقد تم التناسخ الخمسون للاما ( باتشن رينبوش ) العظيم .. هناك طفل ولد فى ( لهاسا ) يحمل العلامات .. ونحن نطلب السماح لنا بالذهاب وفذاً إلى هناك .. يجب أن نقيم الصلوات أربعين يوماً مع الاستعانة بـ ( كيرونج جوو ) و ( ثانجكا ) حامية التبت .. »

— « لكم هذا .. »

لا يمكن أن يقيم الرهبان مثل هذا الاحتفال من دون تصريح أمنى خاص من ( بكين ) .. لهذا يطلبون نوعاً من الوساطة .. وبالطبع كان خير وسيط لهم هو الكاهن الأخير ..

★ ★ ★

عاد ( هن تشو كان ) إلى مصر حيث اتصل بى واتفقتا على اللقاء ..

لسبب ما تذكر نبوءة ذلك اللاما الذى قابله منذ مئات السنين فى قرية ( تو جيجى ) ..

« عندما تحلق النسور الحديدية ، وعندما تركض الخيول على عجلات .. سوف يتفرق أهل التبت فى الأرض وتصير الدارما dharma فى أرض الرجال الحمر .. »

من الغريب ان النبوءة تحققت إلى حد ما .. الطائرات الصينية ( النسور الحديدية ) تحلق فى سماء التبت .. خيول على عجلات .. الدارما انتقلت إلى أرض الهند .. تفرق التبتيون ..



هنا ارتجف إذ تذكر باقى النبوءة :

« النافراى يقتل من استضافه .. رجل البحر الأسمر يلقي حتفه على يد  
زهرة زرقاء عندما يعود تناسخ اللاما إلى صبي من ( لهاسا ) .. »

لقد عاد تناسخ اللاما فى ( لهاسا ) فعلاً ..

من هو رجل البحر الأسمر ؟ ومن هذا الذى استضافه ؟

الآن يمكنك الاختيار ..

لو كنت تريد نهاية سخيفة ، فلتتجه للفصل رقم ١٩

لو كنت تريد نهاية مملة ، فلتتجه للفصل رقم ٢٥

- ١١ -

## تمارين ليلية

يختلف من كتبوا عن التبت فى معنى لفظة Chod ..

المعنى الحرفى للكلمة هو التقطيع .. لكن المعنى قد يكون مجازياً  
بمعنى ( قطع المفاهيم الخاطئة عن ذاتك ) .. وقد يكون حرفياً يتم  
عبر أشنع طقس وصفته كتب الأنثروبولوجى ..

فى قرية ( تاشينج دانجاما ) التبتية قابل ( هن - تشو - كان ) الراهب  
البوذى ( فاجيريانا ) .. كان هذا ضمن عملية ( الكعب الدائر ) التى  
كلفه بها الأخ ( مياتج ) كى يتعلم أن يهين ذاته وأن يعرف أنه لا  
يحتكر الحقائق .. إن ( فاجيريانا ) كذلك ( نجاجسبا ) مهم ..  
( نجاجسبا ngagspa ) هو شىء قريب من لفظة مشعوذ عندنا ..

كان هناك فن خاص يجيده هؤلاء هو فن صنع شبح .. أن تصنع  
صورة لنفسك يمكن أن يتعامل الناس معها .. هذه ظاهرة كتب عنها  
أوروبيون كثيرون .. لم يستطع ( هن - تشو - كان ) تعلم هذا الفن  
على كل حال .

إن التبت بلد غامض غريب .. يصعب أن تلم بأسراره مرة واحدة ،  
والسبب الرئيس هو أنه محاط بجبال الهيمالايا المرعبة ..

الأوروبيون الذين زاروا هذا البلد عاد كل منهم يحكى عن شىء  
غريب أو مروع ..



- « يجب أن تخاف .. فقط الجهلة لا يعرفون الخوف عندما تدعو  
الضرورة له .. »

الظلام دامس بحق .. لكنك ترفع رأسك للسماء فتري النجوم كما لم  
ترها من قبل ، قبل أن يتكاثف فوقها غبار الحضارة وصدأ الزمن ..  
يمشى الراهب بقدميه الحافيتين بين المقابر ، ثم يتوقف ..

يجلس على الأرض وينظر للسماء ، ثم يرقد على ظهره ويصيح  
في الفتى :

- « مهما رأيت لا تخف .. ! لا تتدخل ! إن التشود هو مأدبة ..  
مأدبة تقيمها أنت للشياطين على جسدك ! »

يسمع ( هن - تشو - كان ) الزنير .. العواء .. الزمجرة .. الخوار ..  
ثم يرى ..

يرى تلك الكائنات المريعة التي لا شكل لها تخرج من وراء المقابر ..  
إنها تتقدم .. تلتف حول الراهب .. تنقض عليه ويبدو أنها تفترسه ..

المشهد شنيع لا يصدق ..

يوشك على الصراخ أو الفرار ..

لكنه يتذكر كلمات الرجل فيظل واقفاً .. الآن لم يعد يرى الراهب  
من كثرة ما التف حوله من شياطين ومسوخ ..

لا يذكر كم مضى من وقت قبل أن تنفض هذه الكائنات المفزعة ..

قال ( فاجيرياتا ) لـ ( هن - تشو - كان ) الذي جاء يتعلم أساليبه :

- « الليلة صافية وأنا راغب في أداء بعض ( الشود Chod )  
( الرولانج Rolang ) .. فهل تأتي معي ؟ »

وافقه الكاهن الأخير الذي كان يسمع هاتين الكلمتين لكنه لا يعرف  
عنهما شيئاً ..

★ ★ ★

« عندما تغرب الشمس وتلطخ دماؤها ثوب المساء الأزرق ،  
عندئذ يبدأ فجر النافاراي »

★ ★ ★

عندما جاء الليل خرج الراهب من القرية مع ( هن - تشو - كان ) بعد  
ما تناولا العشاء والشاي بالزبد .. لم يعرف الكاهن الأخير إلا متأخراً  
جداً أنهما ذاهبان إلى المقابر ..

قال له الراهب :

- « هل أنت خائف ؟ »

قال الكاهن الأخير :

- « لا .. ولماذا أخاف ؟ »

قال الراهب البوذى :



وحيثما رحلت أخيراً نهض الراهب ووقف على قدميه ، وقال للكاهن الأخير :

- « هذه هي التشود .. إن هذه المسوخ إذ مزقتني مزقت كل ما هو زائف في وعيي .. »

هتف ( هن - تشو - كان ) في ذهول :

- « هل تفعل هذا كثيراً ؟ »

- « فقط كلما شعرت أن الزيف يتسلل لى .. إن التشود نوع من التضحية بغرض التطهر .. وفي العادة أفعل هذا مرتين كل شهر .. »

ثم قال وهو ينظر للسماء :

- « الآن حان وقت ( الرولاج ) .. »

- « وما هو ؟ »

- « إنه الطقس الذي يعنى حرفياً : إيقاف الموتى على أقدامهم ! »

الآن يمكنك الاختيار ..

لو كنت تريد نهاية سخيفة ، فلتجده للفصل رقم ١٤

لو كنت تريد نهاية مملّة ، فلتجده للفصل رقم ٣٥

- ١٢ -

## تصير حقائق

« عندما تغرب الشمس وتلطف دماؤها ثوب المساء الأزرق ، عندئذ يبدأ فجر النافاراي »

★ ★ ★

لفترة لا بأس بها عمل ( هن - تشو - كان ) مع الصينيين في التبت .. كان يمقتهم ولم يستطع أن يستريح لهم قط ؛ فهم بالنسبة له أولئك الذين انتهكوا قدس الأقداس عندما غزوا التبت عام ١٩٥٩ .. كانوا ملحدين يعتبرون كل الأديان خرافة ، لكنهم كانوا يعاملون البوذية بشكل أكثر وقاحة .. وكتوا يقسمون أهل التبت إلى ( اشتراكيين ) و ( متدينين ) .. الفريق الأخير لم يكن يمثل لهم إلا مجموعة من الحمقى صلح الرعوس ذوى ميول رجعية ، وقد امتلأت رعوسهم بالخزعلات ..

لم يكن ( هن - تشو - كان ) بوذياً .. كان آخر مخلوق على وجه الأرض يعتنق عقيدة ( النافاراي ) ، وهي عقيدة لم تزعم قط أنها دين .. إنها مجرد فلسفة تحاول فهم الكون .. لكنه كان يشعر بأن البوذية ابنة عم لعقيدته ، وأية إهانة لها إنما تصيب صلب ما يؤمن به .. تصيب الكاهن الأكبر ، والأخ ( مياتج ) وكتاب ( الشوكارا ) ..

كما قلت كان يكره الصينيين لكنه يتعاون معهم لأنهم يمنحونه فرصة التواجد في وطنه .. أن يدخل الأبيرة العتيقة التي لم يدخلها منذ



مئات الأعوام .. أن يرى المخطوطات التي أوشتت على أن تبلى ..

باختصار لم يكن هناك سبيل للوصول إلى كل هذا العالم إلا من خلال قمع كرية اسمه الصينيون ..

وكان يتخيل ما سوف يقوله الصينيون أو يفعلونه لو عرفوا أن هذا الشاب البارع الذي يجيد عدة لغات ، ويعرف كيف يتفاهم مع قبائل ( الشيريا ) و ( الأمدواس ) ليس سوى كاهن اجتاز مئات الأعوام .. وكيف لو عرفوا محتوى كتاب ( الشوكارا ) القادر على تحويلك إلى إنسان آخر !

فى ذلك اليوم ترجلت العربات الجيب التي تحمل النجمة الصينية الحمراء أمام ذلك الدير الجبلى ، وترجل الجنود الصينيون بثيابهم الخضراء المميزة .. ومعهم كان شاب بسيط الثياب يلبس تلك البذلة الصينية الموحدة التي لا تدل على وضعك الاجتماعى .. كان هذا الشاب هو ( هن - تشو - كان ) نفسه ..

وقف الرهبان بأقدامهم العارية ورءوسهم الصلع يراقبون هؤلاء القادمين الذين لا يحملون خيراً .. بينما دلف الصينيون إلى الدير ..

لم يكن لهذه الحملة هدف محدد سوى التواجد .. فقط هم يعلمون هؤلاء القوم أنهم هنا وقادرون على التدخل ..

راح ( هن - تشو - كان ) يراقب الرهبان المتوترين ، وتذكر كيف أنه كان واحداً من هؤلاء منذ قرون .. فقط هم لم يبلغوا درجة الكارما الواجبة .. عندما تتوحد مع الكارما لن تخاف بل تستشعر الشفقة على الخطر الذى يهددك ..

دخل الجنود الصينيون الدير وراحوا يعبثون هنا وهناك . أحدهم تحسس عنق تمثال بوذا ساخرًا .. أما الآخر فأسقط مجموعة من لفافات الصلوات على الأرض ..

كان هناك إناء كبير من الخزف على المذبح فأسقطه أحدهم متظاهراً بأنه لم يتعمد هذا ..

يحتاج ( هن - تشو - كان ) إلى طاقة تحمل أعلى من هذا كي يقاوم .. كان يعرف أن هذه المجموعة مجرد صبية يمكنه أن يقهرهم بسهولة ، ولكن يظل السؤال : ماذا بعد ؟ أولاً سوف ينقلب الجيش الصينى كله ضدك .. وأنت لا تستطيع مواجهة الجيش الصينى ..

ثانياً سوف يحل العذاب هؤلاء الأبرياء فى الدير والقرية المجاورة ، ولن تكون أنت هنا لتحميهم .. حتى لو تواجدت فلن تستطيع مواجهة سرب الطائرات الذى سيحلق ليقتذف بعشر قنابل تحيل الدير وما حوله إلى خراب ..

هكذا ابتلع المشهد وصمت ..

كان يقف وسط هذا الصخب عندما أدرك أنه يدوس على تراب .. التراب الذى كان فى هذا الوعاء الخزفى المهشم .. شعر بحذائه يتورط فى شيء .. حينما دقق أكثر رأى أنها قلادة غريبة الشكل ..

يرفع رأسه فتلتقى عيناه بعينى كبير رهبان الدير .. وإذا بالراهب العجوز يهز رأسه موافقاً ..

للحظة تكلمت النظرات ..



- « نعرف أنك صادق .. نعرف أنك لست منهم .. خذها واعمل على حمايتها »

- « لكن .. أيها الأب العظيم أنا .. »

- « بحق ( جواتاما ) خذها .. أنت لا تفهم مدى أهميتها لنا »

هكذا انحنى ( هن - تشو - كان ) فالتقط القلادة ودسها فى عنق حداته ذى الرقبة ..

فرغ الصينيون من التفتيش والتدريس فأطلقوا الصيحات يجمعون الرجال ، وسرعان ما ركب ( هن - تشو - كان ) معهم سياراتهم الجيب وغادروا المكان ..

لم يكن بوسعه العودة للدير .. هناك دائماً واش سوف يخبر الصينيين .. هكذا قرر أن يحتفظ بها ..

وفى غرفته الخشبية البسيطة التى لا تحوى إلا فراشاً وحوضاً للفسيل ، أطل من النافذة ليرى كتيبة صينية تؤدى تدريبات الصباح وسط المروج الجبلية .. سوف يتبع هذا الجلوس على الأرض لقراءة تعليمات الرئيس ( ماو ) من الكتاب الأحمر الصغير الذى يعتبرونه كتاباً مقدساً ..

هكذا مد يده يتفحص تلك القلادة التى وجدها فى الدير ..

كانت تمثل تينياً ككل شىء يمت لهذه البلاد ، لكن النقوش الدقيقة على قاعدته كانت بلغة يعرفها .. تلك اللغة التبتية المنقرضة التى كان يتكلمها ، ومن العسير أن يجد أحداً يعرفها اليوم ..

كانت تقول :

- « مع البعض تصير الكلمات حقائق .. ومع البعض تصير الحقائق كلمات »

ما معنى هذا ؟

لم يفهم ..

على كل حال سوف يحتفظ بهذه القلادة التى تبدو ذات قيمة ..  
ولسوف يعيدها إلى الراهب يوماً ما ..

★ ★ ★

لكن هذه اللحظة لم تأت لأنه انشغل بعمله الجديد والمشكلة التى حدثت بعدها ..

جاء اليوم الذى وجد فيه أنه فى الهند يقوم بزيارة قصيرة ، ثم تحمله الطائرة إلى وطنه الثانى .. مصر .. البلد الذى آواه عندما فر من واقعه الجغرافى والزمنى ..

وجاءت اللحظة التى قابلته فيها فى تلك الشقة التى اتخذها فى ( الزمالك ) .. هناك جالية صينية لا بأس بها فى القاهرة وبوسعه أن يذوب وسطها .. وكما قلت سابقاً أنت لا ترى فيه سوى شاب آسيوى متأنق يضع نظارة سوداء ويحمل حقيبة أوراق ، أقرب إلى رجل أعمال من هونج كونج جاء يعقد صفقة لتصدير الأقلام الجافة !

فى شقته الفاخرة رحب به كعادته هاتفياً :

- « ( ريفاات ) ! »



أنا من المحظوظين القلائل الذين يثرثر أمامهم هذا الفتى على راحتته ، وقد راح يحكى لى عن حياته هناك وعن الخبرات الغريبة التى اكتسبها ..

- « وهل ما زلت محتفظاً باللياقة ذاتها ؟ »

قلتها وأنا ألوح بيدي لأطرد ذبابة سمجة قررت أننى كوم من القمامة لسبب ما ..

فى اللحظة التالية لم أدر ما حدث لأننى وجدت يده تحت أنفى . كان يقف على بعد ثلاثة أمتار منذ ربع ثانية ، وفى كفه وجدت تلك الذبابة وقد حشر جناحها بين إصبعين ..

اتجه للنافذة فأطلق سراحها .. لا أعتقد أنها ستعيش ما لم تتعاط علاجاً للنوبات القلبية .. لكن الإجابة كانت بليغة جداً على كل حال ..

قال لى :

- « إن اللياقة جزء من عقيدتى .. دعك من أن تدريبات النافراى يمكن أن تتم فى أى مكان .. إن اصطيد الذباب تمرين لا بأس به يمكن أن تؤديه فى فناء خلفى ، لكنه لا يتعلق بالسرعة بل يتعلق بالتركيز .. »

ثم قال وهو ينظر لى ملياً :

- « أما أنت فشكو انعدام اللياقة .. أنت تتداعى سريعاً يا ( ريفات ) .. »

لا أعرف كيف حدث هذا ، لكننى شعرت بإرهاق غريب .. فجأة وجدت أننى عاجز عن رفع ذراعى أو الكلام .. ونظرت لى فأصابنى الهلع .. منذ متى صارت عظامى بارزة بهذا الشكل ؟

نظر لى فى فهم واتسعت عيناه رعباً ثم صرخ :

- « لا تخف .. كان يجب أن أعرف هذا ! »

ثم هتف ضاغطاً على كلماته :

- « بل أنت تزداد شباباً ! »

فجأة بدأت أشعر بأننى أتحسن .. واستعدت أنفاسى .. نظرت لى فوجدتها كما عرفتتها .. ليست يدي الموناليزا طبعاً ، لكنها ليست يدي جثة متوفاة منذ قرن ..

نظرت له فى حيرة فقال :

- « هذه هى الكارثة التى أمر بها .. إن كلماتى تتحقق حرفياً والسبب هو قلادة غريبة وجدتها فى أحد أديرة التبت .. على القلادة كتبت كلمات غريبة تقول ( مع البعض تصير الكلمات حقائق .. ومع البعض تصير الحقائق كلمات ) .. لم أفهم معناها فى البداية ثم بدأت ألاحظ أشياء غريبة .. »

ثم فكر قليلاً وأردف :

- « كنت أنظر إلى الصينيين فى غل من النافذة ، وقلت لنفسى : ليت هؤلاء يذهبون للجحيم .. هل تعرف النتيجة ؟ لقد اختفت مجموعة كاملة من الصينيين .. لا أحد يعرف أين هى ولا مصيرها .. لقد انقلبت البلاد رأساً على عقب .. »

قلت فى ذهول :

- « هل تعنى ما تقوله ؟ »



- « حرفياً .. أنت رأيت الآن كيف كنت ستفقد حياتك بسبب كلمة واحدة قلتها بلا تفكير .. مع البعض تصير الكلمات حقائق »

ثم نظر لى فى شرود وقال :

- « السؤال هو : كيف أتخلص من تأثير التعويذة ؟ »

الآن يمكنك الاختيار ..

لو كنت تريد نهاية سخيفة ، فلتتجه للفصل رقم ٢٢

لو كنت تريد نهاية مملة ، فلتتجه للفصل رقم ٢٧

= ١٣ =

« عندما تغرب الشمس وتلطخ دماؤها ثوب المساء الأزرق ،  
عندئذ يبدأ فجر النافاراي »

★ ★ ★

لفترة تظاهروا بأنهم لا يسمعون ، لكن الطرقات ازدادت قوة .. ثم سمعوا طرقات من أعلى الكوخ .. هناك من يقف على السقف ..

أدرك العجوز أن ما جذب هؤلاء هو النار التى أشعلوها ، وأدرك ( هن - تشو - كان ) أن هؤلاء قد أيقظوا بعضهم .. إنهم الآن بحاجة إلى وجبة طازجة من الدم ..

الطرقات تتزايد ..

مسئوليتك أن تحمى هؤلاء الأبرياء من خطر بداته أنت بعد ما كبله ذلك الكاهن التاوى ..

هكذا اتجه إلى باب الكوخ وفتحته فجأة .. كتم أنفاسه وتراجع للخلف .. فى اللحظة التالية اجتاز المدخل واحد من تلك المخلوقات التى رفضت أن تموت .. إنه يتجه إلى داخل الكوخ حيث الأحياء الذين يتنفسون .. وهو يتواثب على قدم واحدة كما يفعلون ..

برغم أن الموقف لا يسمح بممارسة التقاليد ، فإن الكاهن الأخير أرجع رأسه للخلف وصاح :

- « تشا ساراياتا ! »



ثم استكمل طقوس الإنذار عالمًا أنه لا جدوى منها .. كيو  
ساراياتا .. جواتغ ساراياتا .. لا أحد ينذر المسوخ فإن فعل فمن  
المستحيل أن تفهم .. لكنه فعل ذلك على كل حال التزامًا بالتقاليد أو  
كما نقول نحن ( عملاً بتربيته ) ، ثم طار فى الهواء ليوجه ركلاته  
إلى عنق هذا الشيء .. ترنح المسوخ لكنه لم يسقط، وحاول أن  
يقتنص قدم الفتى لكن هذا تفاداه ببراعة ..

فى هذه اللحظة كان اثنان آخران من الشيطانج شى قد دخلا من باب  
الكوخ يتواثبان .. كتم أنفاسه حتى صار بينهما ثم طار فى الهواء  
موجهًا ركلة لصدر كل منهما ..

رباه ! إنهم أقوياء فعلاً .. ركلة كهذه تقتل رجلاً قوياً ..

أحد هؤلاء يحاصر المرأة وطفلها المرتعش الباكي فى الركن .. إنه  
يمد يده إلى الطفل ..

صاح العجوز :

« لا تتنفسا ! »

تطير فى الهواء حتى تبلغ وعاء الطهى ، ثم تصرخ فى المرأة أن تدارى  
وجهها ووجه صغيرها ، وتطوح محتوى الوعاء فى ذلك الكائن ..

الوعاء كان يحوى الأرز المسلوق طبعًا .. فرأيت ذلك المسوخ  
يرتجف وقد التصق به ذلك الأرز .. على وجهه .. على يديه .. إنه  
يترنح ثم يصطدم بالجدار ..

تطوح بالأرز فى المسخين الآخرين ..

لا شك فى أنه يبطئ حركتهم فعلاً ..

فى هذه اللحظة ينهار السقف ويهوى اثنان منهم وسط الجليد ..  
يسقطان على أرض الكوخ ثم ينهضان وهما يزمران كالدببة ..

يقفز الكاهن الأخير فى الهواء ليوجه ركلة لرأس الأول ، ثم يهوى  
بسيف يده على عنق الثانى ، ويتفادى عضه محكمة فى اللحظة الأخيرة ..

الأمر يزداد تعقيدًا لأنك غير مكلف بحماية نفسك .. بل بحماية  
ثلاثة أبرياء .. امرأة .. طفل .. شيخ .. مثلث الوهن الأبدى والنقطة  
الهشة فى أى جدار ..

فجأة يأتى العون من حيث لا تدرى ..

ذلك الرجل الذى يلبس ثيابًا ملونة غريبة ولحيته عجيبية الشكل ،  
وفى يده عصا غليظة .. إنه يقف على الباب و يحمل شيئًا فى يده ..  
يصيح بك وأنت ملتحم فى القتال :

« أيها الشاب ! خذها فأنا لا أقدر ! »

تثب فى الهواء لتكون أمامه وتمسك بقبضتك هذه الأشياء ..  
أوراق .. أوراق صفر عليها كتابة بلون أحمر .. دم دجاج .. إنها  
الفو .. هذا هو كاهن التاو ..

تثب فوق المنضدة المتداعية ثم تدور فى الهواء لتهبط على قدميك أمام  
أول هذه المسوخ ، وتلصق بعض الأوراق بجبهته بينما هو يوشك  
على الانقضاض عليك .. ثم تنقض على آخر .. تفعل الشيء ذاته ..

فأخر ..



إتهم يسقطون أرضاً .. لا تبدو عليهم علامة حياة إلا عيونهم  
الغاضبة المجنونة التى تلاحقك حيثما كنت ..

يقول كاهن التاو :

- « عدت إلى الغابة برغم العاصفة لأتأكد من أن الجليد غطاهم  
فوجدتهم قد رحلوا .. عرفت أن أحدهم قد انتزع الفو .. هكذا اقتفيت  
آثار أقدامهم على الجليد فقادتني هنا .. كنت قد اعتمدت على الأرز  
كى أنفرد بكل واحد منهم إذ يسقط على الأرض ، لكنى ما كنت لأقدر  
على صنع ما صنعته أنت الآن وهم بكامل عنفوانهم »

ثم صاح فى الثلاثة الواقفين ..

- « هلم يا عجوز .. هلمى يا امرأة مع طفلك .. سوف نحرق الكوخ .. »

يقول ( هن - تشو - كان ) :

- « قالوا إنك لا تقدر على قتل الموتى .. »

- « الأمر ما قلت ، لكنهم سيظلون عاجزين عن الحركة ما بقيت  
هذه الأوراق .. سوف يذوب الجليد ويظلمون تحته ، وتأتى العواصف  
لتدفنهم أكثر .. الشياتج تشى يذفنون ولا يقتلون .. »

والمرأة تحمل طفلها خرقة ، بينما تتعاون أنت مع كاهن التاو على  
سكب زيت السماور فى كل مكان .. ثم أنك تترك السماور لترحف  
الزهرة المقدسة فى كل أرجاء المكان ..

النار تتعالى وتحيط بالشياتج شى ..

تترجعان إلى الباب .. ما بقى من السقف ينهار ..

أنتما الآن فى الخارج تراقبان الجذوة الهائلة تتعالى ..

لكنك لا تستطيع أن ترحل دون أن تعود لتظل من باب الكوخ على  
الأجساد المحترقة بالداخل وتصيح :

- « سوان هاتشاه سارايمان ! »

لقد أنذرتكم بأننى سأستعمل ( الساراياتا ) ..

هكذا تقول التقاليد .. وعليك أن تطيعها حتى لو لم يسمعك الشياتج

شى ..

تمت

إن لم ترق لك هذه النهاية ، فلتجرب الفصل رقم ٣٣



## - ١٤ -

لم يصدق ( هن - تشو - كان ) عينيه وهو يرى القبور تنفتح ..  
ومن كل قبر تخرج جثة ملتفة بالأربطة والأكفان . تمشى مترنحة ..  
تمشى على قدمين ..

الرائحة لا تطاق .. ذعره لا يوصف .. لكنه يضع ثقته فى  
الراهب ..

يرفع الراهب يده فتقترب منه تلك الأجساد السكرى .. مد يده فى  
كيسه القماشى ، وألقى ببعض قطع الخبز فاتقضت تلك الأجساد عليها  
كأنها كلاب جوعى ..

لا يعرف الكاهن الأخير كيف احتفظ بوعيه وهو يرى هذا المشهد  
المريع ..

إن ( الروانج ) حقيقة .. لا شك فيها .. الموتى غادروا القبور ..  
الموتى يقفون على أقدامهم ..

لقد تحقق التشود والروانج ..

وعندما عادت الجثث إلى قبورها نظر له الراهب وقال :

« انتهت طقوس الليلة يا كاهن النافاراي الشاب .. »

عادوا إلى القرية فأوى ( هن - تشو - كان ) إلى كوخه .. وفى ضوء

الفجر المتسلل قال لنفسه :

« هؤلاء أقوياء حقاً .. إنهم يعرفون كل شيء .. يبدو أنني أخطأت  
الطريق .. لو أردت الحكمة فما كان على أن أصير ( نافاراي ) .. ما  
أعظم ما يعرفون .. »

كانت هناك قصعة بها بقايا العشاء فى ركن الكوخ .. فاتجه إليها  
ومد أنامله وراح يلتهم بعض الأرز محاولاً أن يطرد من ذهنه صورة  
الموتى الراقصين ..

لم يستطع النوم .. ..

خرج من الكوخ ووقف يراقب الأكواخ الغافية ..

يراقب تمثال بوذا الموضوع فى وسط القرية .. ويراقب الدجاج  
الذى صحا من نومه فراح يتسلل ويلتقط الحبوب بانتظار قدوم  
الإفطار ..

فجأة رأى الديك يخرج .. يطير فى الهواء ليركل دجاجة فى عنقها  
ركلة ممتازة ، ثم يستلقى على ظهره ويتشعب .. ثم دجاجة تصيح  
كالديك ، ودجاجة أخرى تطارد كلباً عبر الأكواخ وهى تنبح ..

ما هذا ؟ هل جن الجميع ؟

بل جننت أنت ! هذا واضح ..

ولكن لماذا ؟

لماذا كان للأرز والشاي هذا المذاق الغريب ؟



أنت تناولت عشاءك قبل الذهاب للمقابر فلماذا أصر الراهب على ذلك ؟

هذه هلاوس .. ثمة نوع من الأعشاب المحدثثة للهلاوس دس لك فى الطعام والشراب ، والهدف أن ترى ما رأيت من عجائب .. لو أن بعض الرجال ظهروا فى المقابر ملتفين بالأكفان لبدا لك أنهم الموتى وقد غادروا القبور ..

والغرض ؟ إنها حرب بين عقيدتين تحاول كل منهما أن تختبر الأخرى ، وهم ينتظرون عودتك لديرك كى تخبر الرهبان بمدى قوة هؤلاء .. ومعجزة ما رأيت فى قرية ( تاشينج دانجاما ) ..

عاد إلى الكوخ واستلقى على الحشية .. لا سبيل لطرد هذه الهلاوس من رأسك إلا بنوم عميق ..

الراهب ليس بارعاً فى إيقاظ الموتى ، لكنه بالتأكيد بارع فى تركيب الأعشاب المنومة ..

لا شك فى هذا ..

تمت

إن لم ترق لك هذه النهاية ، فلتجرب الفصل رقم ٣٥

= ١٥ =

« عندما تغرب الشمس وتلطخ دماؤها ثوب المساء الأزرق ، عندئذ يبدأ فجر النافاراي »

★ ★ ★

عندما استعاد ( هن - تشو - كان ) وعيه عرف أنه فى حضرة اللاما الأعظم ..

لقد كان الغول قادمًا من على باب الدير وقد بدأ اللعب يسيل من نابيه مختلطًا بالدم .. إن ( الشوكارا ) لأضعف من مواجهة هذا الخطر الفريد من نوعه ..

إن ... ..

ماذا ؟ ألاحظ أن نظرة غريبة تتبدى فى وجوهكم .. كأنكم تنظرون إلى مجنون ..

هل اختلطت على الأمور ؟ هل أستكمل قصة لا علاقة لها بما بدأت به ؟ لست متأكدًا ..

لكنى على كل حال لا أذكر القصة التى بدأتها .. إن الذاكرة عضو يشيخ كأي عضو آخر .. لماذا نتوقع من الشيوخ ألا تتحمل قلوبهم



عناء الركض أو التسلق ، بينما نندهش جداً لو بدعوا ينسون ؟

أنا لست على ما يرام ، ولسوف تقدرين هذا ..

أعتذر لكم إذن عن استكمال هذه القصة . فأنا بحاجة إلى الراحة  
ومراجعة الأوراق ..

تمت

إن لم ترق لك هذه النهاية ، فلتجرب الفصل رقم ٣٤

- ١٦ -

كان الأمر أقرب إلى الكابوس .. لقد انزلق ( عزت ) معدوم الحيلة  
إلى الشارع ، بينما راحت السيارة تضغط على الفرامل .. فقط لتنزلق  
أكثر .. واضح أن سائق السيارة لم يتعلم كيف ( يكارك ) على  
الأرضية المبتلة كما ينصح أي ميكانيكي يحترم نفسه ..

التقى الخطان لكنهما لم يلتقيا بالضبط .. وجد ( عزت ) نفسه على  
بعد متر من العجلة وتوقفت السيارة أخيراً .. انفتح الباب لتثب منه  
امرأة ..

- « هل أنت بخير ؟ »

هز رأسه أن نعم .. ما لم يقله هو أن السيارة مزقت جهازه  
العصبي ، وداست على ثباته ، وبترت رباطة جأشه .. كلها إصابات  
خطرة فعلاً .. إن معنوياته تنزف بغزارة ..

ساعدته على النهوض .. لاحظ أنها بارعة الحسن خاصة وهو  
يحب ذلك الشعور العام بالبلل .. إن شعرها وأنفها يقطران الماء ..

قالت له وهي تفتح باب السيارة الأيمن :

- « سوف أوصلك إلى المستشفى لو أردت .. »

- « لا .. لا داعي .. »

الحقيقة أنه كان بحاجة لشيء أقوى من ذلك ، لأن صدمة نقص



الكورتيزون بدأت تزعزع كياته .. هو كما تعرف لا يطبق أى نوع من الانفعال .. هكذا ألقى بنفسه فى السيارة وراح يلهث ..

- « ( لمياء ) .. اسمى ( لمياء ) .. »

قالتها وهى تجلس وراء المقود ، فلم يهتم بأن يعلق وأرجع رأسه إلى الخلف .. صوت المساحات والمطر الذى يسيل على الزجاج الأمامى ..

انطلقت السيارة فى شوارع الزمالك .. لم يكن قد قال لها وجهته ، لكن عقله كان يعمل بسرعة الآن .. حتى هذه اللحظة كانت كل لوحات ( الشرشابى ) دقيقة .. المرأة الحسناء .. ماذا بعد ذلك ؟ الوحش ؟ هو لا يصدق هذا ولا توجد له مناسبة ما ، لكن ماذا عن المجاز ؟ ربما هذه الفتاة ليست بالرقعة التى تتظاهر بها ..

من هو ( الشرشابى ) ومن أين جاء ؟ هو تحدث عن مكافأة .. بالمناسبة هل كانت تلك اللوحات التى تظهر ( عزت ) موجودة عندما دخل القاعة ؟ لا يظن .. كأنه أراد أن يطلعه على مستقبله مجاملة لأنه أعجب بلوحاته ، وعليه أن يستفيد من هذا قدر الإمكان ..

نظر إلى الفتاة بجانب عينه فوجدها تتحسس خدها .. تعصر اللحم فى شراهة .. لا احد يفعل هذا بنفسه ما لم يكن مخبولاً ..

- « لماذا تفعلين هذا ؟ »

قالت وهى مستمرة فى القيادة :

- « إنها تلك الحساسية للمساحيق .. الإكزيما .. أحياناً أشعر بأننى

أريد أن أمزق وجهى .. لا تؤاخذنى .. »

- « إذن لا تضعى المساحيق .. »

- « من الأسهل ألا أعتصر خدى .. »

الصورة التى رآها فى الجاليرى كانت تظهر وجه الفتاة مشقوقاً وثمة وحش يخرج من اللحم الممزق .. هل لهذا معنى ما ؟

كان يزداد توترًا فى كل لحظة ، لذا قال لها فى حزم :

- « أرجو أن تعيدنى إلى الجاليرى .. أنا على ما يرام الآن .. »

- « لا تبدو كذلك .. »

- « أرجو أن تعيدنى هناك فقد نسيت شيئاً مهماً .. »

هكذا دارت بالسيارة عائدة إلى ذات النقطة التى كادت تدهمه فيها ، وسألته مرة أخيرة عن صحته فقال إنه بخير .. وسرعان ما كان قد دخل الجاليرى ثانية ..

هذه المرة كانت وجهته محددة .. القاعة الصغيرة المتوارية التى دخلها منذ عشر دقائق ..

لم تكن هناك .. بدلاً من البارافان واللافتة وجد باباً موصداً عليه رمز بصرى يوحي بالأنثى .. حمام ! هذا ليس سوى حمام مغلق ..

لقد تلاشى معرض ( عفت الشرشابى ) تماماً كأنه كان هلوسة .. ربما كان كذلك .. الآن يعرف أنه مر بخبرة غير مسبوقه ..

عاد إلى القاعة الرئيسية فأتجه إلى الفتاة الجالسة أمام الدفتر وسألها :



- « كانت هنا قاعة مخصصة لأعمال الفنان ( عفت الشرشابي ) ..

أين هي ؟ »

هزت رأسها في ملل وقالت :

- « لا أعرفه .. »

نظر إلى الدفتر مفكراً في عمق .. هنا سمع الفتاة تتكلم بصوت غريب :

- « لماذا عدت يا أحمق ؟ لقد كان الإنذار واضحاً ! »

رفع رأسه مذعوراً فوجد أن الفتاة تمد يدها إلى خديها .. كأنها تنتزع قناعاً من اللاتكس وتمزقه .. كانت تبذل جهداً هائلاً كي تفعل ذلك ..

الآن يتذكر أن هذا هو بالضبط المشهد الذي رآه في لوحة المعرض ..

هنا أطلق صرخة هائلة ..

انطلق يركض نحو باب الخروج .. ينزلق .. يركض .. حتى صار

في الشارع ..

اعتقد أنه لم يكف عن الجري حتى هذه اللحظة ..

تمت

إن لم ترق لك هذه النهاية ، فلتجرب الفصل رقم ٢٨

- ١٧ -

رحت أدق باب ( عزت ) كالمجنون .. لكنه لم يرد ..

لا أعرف ما يدور ، لكنني قررت اللجوء إلى حل قلما ألجا إليه .. لقد تبادلت مفتاح باب شقتي مع ( عزت ) منذ زمن ، لكننا أقمنا على ألا نستعمله إلا عند الضرورة ..

هكذا أخرجت المفتاح وأولجته في القفل ودخلت .. هذه المرة أغلقته ورائي ..

كانت الشقة هادئة صامتة .. الأضواء مفتوحة وهذا طبيعي بعد ما أصابه من رعب ، لكنني اندفعت نحو غرفة نومه لأرى ما هنالك ..

مررت على التمثال أثناء مروري فبدأ لي أكثر غرابية .. كانت الفتاة تقف وحدها صارخة . كأنها جنت .. لقد رحل مصاص الدماء الذي كان يقف وراءها ..

هكذا اندفعت بسرعة أكبر نحو غرفة النوم وكان بابها مفتوحاً ..

على الفراش رأيت مشهداً مريعاً .. رأيت بوضوح لأن هناك مصباحاً خافتاً أبقاه ( عزت ) مضاء ..

كان ذلك التمثال من الصلصال يجثم فوق ( عزت ) وقد ثبت نراعيه إلى جانبه وألصق وجهه بعنقه في وضع ممتاز جدير بأفلام ( هامر ) .. لم يكن ( عزت ) بيدي أيًا من أمارات المقاومة ..

المشهد واضح ..



هرعت خارج الغرفة فوجدت عصا مكنسة .. فى الصالة ؟ نعم ..  
كل شيء ممكن فى شقة ( عزت ) ..

عدت إلى ذلك المسخ المنهمك فهويت عليه بالمكنسة ..

تهشمت المكنسة أى صلصال هذا ؟ لكنه لم يتحرك ولم يبد أى  
علامة على أنه شعر بها ..

على كل حال إذا كان هذا تمثال مصاص دماء فلا تصرف كما يجدر  
بـ ( فان هلسنج ) .. لقد صارت المكنسة وتدا ممتازاً الآن ..

أمسكت بالوتد بكلتا يدي ثم غرسته حتى نصفه فى موضع القلب  
من ذلك الشيء .. لم افعل أكثر من هذا حتى لا يخترق صدر ( عزت )  
نفسه ..

عندها فقط بدا كأن قواه خارت .. تهاوى جسده فوق عزت فأمكننى  
أن أجره وأوجه له عدة ركلات .. ثم هرعت لأفحص ذلك الفتى ..  
كان راقدًا بلا حراك وصدره يعلو ويهبط ، عنقه ما زال سليماً لكنى  
أدركت أن تعبيراً من الذعر والاستسلام يكسو ملامحه .. هذا العرق  
البارد لا يريحنى ..

ناديته عدة مرات .. ثم قررت أن الوقت حان كى أحقته ببعض  
الكورتيزون ..

هرعت إلى الصيدلية المعلقة فى الحمام وفتشت عن بعض الحقن ،  
ثم ملأت محقناً ..

هناك من يقف خلفى ..

نظرت ورائى فوجدت تمثال الفتاة يقف على باب الحمام !

لم تكن تصرخ هذه المرة بل على شفيتها ابتسامة شبه معسولة ..  
لكنها كما هى العادة لا ترى ..

كانت تتقدم منى ببطء .. ببطء .

لابد من حل .. لكن ما هو ؟

نظرت إلى حوض الماء .. إن السخان ممتلى بالماء الساخن ..  
هناك دورق كبير موضوع إلى جوار الصنبور .. هكذا ملأت الدورق  
بالماء الساخن بسرعة .. بسرعة .. نحن فى الليل حيث اندفاع الماء  
ممتاز وإلا لاحتجت إلى أسبوع ..

الدخان يتصاعد من الدورق الذى صار أداة قتل حقيقية ، لكنى لم  
أصوب نحو وجهها المخيف .. صوبت على القدمين لأغرقهما بهذا  
الماء الذى تتأثر بعضه ليلسع ساقى ..

بدأ الصلصال يذوب .. وتهاوى التمثال على الأرض .. لكنه ظل  
يمد يده محاولاً الظفر بى ..

ملأت الدورق مرتين وصبته على المسخ الراقد على الأرض ..

أخيراً تمكنت من أثب فوقه عائداً إلى ( عزت ) ..

فى اللحظة التى تعالى فيها صوت يعبث فى باب الشقة .. الأخ  
الثانى يحاول الدخول وقد أدرك أن الصيد طار ..



جريت إلى حيث كان ( عزت ) فأفرغت المحقن في ذراعه ثم طلبت منه أن ينتظر .. عدت إلى الحمام فملأت الدورق من جديد ومشيت في حذر إلى باب الشقة .. فتحت الباب باليد اليسرى وعندما ظهر الوجه المريع قذفت بمحتوى الدورق فيه ..

من جديد بدأ الصلصال يذوب .. رأيت الهيكل الذى صمم ( عزت ) التمثال حوله .. ما هذا بالضبط ؟ عدت إلى غرفة النوم لأحضر المكينة المهشمة وأولجتها فى صدر ذلك التمثال شبه الذائب ..

ثم إننى جررته إلى داخل الشقة وأغلقت الباب فى الوقت الذى جاء فيه ( عزت ) مترنحاً من غرفة النوم يتسائل عما يحدث .. لم يعرف أى شيء على الإطلاق .. .. صحت وأنا أظعن كتلة الصلصال :

- « ما هذا الهيكل الذى وضعت الصلصال حوله ؟ »

قال فى شيء من الارتباك :

- « عجينة ورقى .. بعض الخشب والسلك .. »

- « وعجينة الورق هذه ؟ من أين جئت بها ؟ »

- « هذه أشياء اشتريتها بالكيلوجرام من الباعة .. أعتقد أن هذه كانت كتباً قديمة مصفرة مكتوبة بلغة لا أعرفها .. »

- « ألم تجد خيراً من كتب سحر قديمة كى تستعملها فى صنع تماثيل لمصاصى دماء ؟ »

- « لم أعرف هذا .. قلت إنها لغة لا أعرفها .. »

ثم نظر إلى الصلصال الذائب والفوضى فى كل مكان .. عندها بدأ يدرك ما حدث :

- « أيها القاتل ! أنت دمرت تماثيلى ! دمرتها ! »

ثم سقط جاثياً جوار الجثة التى فرغت من طعنها وصرخ :

- « كانت تحفة فنية وأنت دمرتها فى دقائق .. لم تكتف بالماء الساخن ، بل مزقت ما بقى تمزيقاً .. إن أمثالك يجب أن يشنقوا فى ميدان عام ! »

وجدت نفسى أغادر الشقة مصحوباً بلعناته وسبابه ..

لكنى قدرت أنه سيرى الأمور بمنظار أفضل فى الصباح ..

تمت

إن لم ترق لك هذه النهاية ، فلتجرب الفصل رقم ٢٩



## - ١٨ -

لم أفتنع بحرف مما قاله لى ( عزت ) ، وكانت تجربتى عملية جداً .. لقد نزلت معه إلى الشارع ورحنا نمر جوار القطط حول صناديق القمامة .. سألته عما تفكر فيه فراح ينظر لى فى حيرة ..

كان هناك حمار يقف جوار الرصيف مربوطاً لعربة جر ، فسألت ( عزت ) عن رأيه .. قال فى تردد :

- « أعتقد أنه متضايق من حياة العبودية تلك . »

قلت فى بسمة انتصار :

- « هل رأيت ؟ كلنا نملك اتطباعات معينة عن أفكار الحيوان .. وأنت تطبق ما فى عقلك الباطن .. لا أحد يقبل ألا يكون الطاووس مغروراً والحمار متضايقاً من عبوديته .. أرجو أن تنسى هذا الهراء .. »

- « وماذا عن تلك التعويذة التى حصل عليها ( أنيس ) رحمه الله ؟ »

- « أعتقد أنه لا يعرف كنهها .. إنها مجرد قطعة أثرية ثمينة لا بد أنه ابتاعها فى الخارج .. ولو كنت مكاتك لأعدتها لوريثه لأنها قد تساوى أكثر من كل العقارات التى يفتش عنها .. »

قال فى ضيق :

- « هذا الحيوان لا يستحق حتى الهواء الذى يتنفسه لكنك محق .. »

هذا فى النهاية مال .. ومال ليس من حقى .. »

## - « أحسنت القول » -

هذا هو ( عزت ) الذى أعرفه .. قد يكرهك بجنون لكنه لا يقبل مليماً لا يستحقه منك ..

أقترح أن نمر على بيت ( مصطفى ) لنخبره بالأمر فنحن قريبان منه جداً ..

قلت فى تحفظ إننى لن أصعد معه لأنه لا علاقة لى بالرجل ..

هكذا وجدنا أننا نجتاز شوارع حى المهندسين .. من الغريب فعلاً أن يتواجد الابن وأبوه فى نفس الحى ولا يزور الأول الثانى ..

انتظرت فى مدخل البناية الفاخرة على حين ركب ( عزت ) المصعد .. كانت الساعة العاشرة مساءً وقدرت أن ( مصطفى ) هذا لم ينم بعد .. وقفت أنتظر وأراقب الشارع .. فجأة لمحت سهم المصعد يشير إلى النزول ..

( عزت ) يظهر على باب المصعد .. إذن كان ( مصطفى ) خارج البيت .. لا شك فى هذا ..

لكن هناك شيئاً خطأ .. إنه ممتقع الوجه مرتبك ..

هرع نحوى وطلب منى وهو يلهث أن آتى معه ..

من جديد ركبنا المصعد إلى الطابق الرابع حيث جاء ..

- « ماذا حدث ؟ »



« سـ .. سـ .. ستري بنفسك ! »

كان الباب مفتوحاً .. دخلنا بحذر .. وعلى ضوء البهو الخافت رأينا الرجل .. أعنى أننا رأينا رجلاً لأننى لم أر ( مصطفى ) هذا من قبل .. كان راقداً على بطنه وسط المكان والدم ينزف من رأسه بلا توقف .. هذه علامات اعتداء لا شك فيها .. لكنى لم أجد أية أداة تسمح بضربه هكذا ..

يا لها من كارثة ! أعتقد أننا تورطنا بما فيه الكفاية فى هذه القصة .. زحفت نحو الرجل وتحسست نبضه فوجدت أنه حى .. هو فى غيبوبة لكنه حى ..

للفت يدي فى منديل واتجهت إلى الهاتف لأطلب الشرطة ..

« قلت لى ما العنوان يا ( عزت ) ؟ »

أملانى ( عزت ) عنوان البناية وهو يرتجف ..

وضعت السماعة ورفعت عيني لأجد أنى أحرق فى عينين واسعتين هيابتين لقط شيرازى ضخم جاء من داخل الشقة، ووقف جوار الجدار يراقبنا كأنه يخشى أن يلوث قدميه بالدم ..

قلت فى شرود :

« يبدو أنه رأى ما حدث .. ترى ماذا رأى ؟ من المؤسى أن الشاهد الكامل يكون أخرس غالباً »

قال ( عزت ) وهو ينظر لوجهه فى المرآة :

« كان يدعوها ( فاتن ) ! »

التفت للخلف فى دهشة فعاد يقول :

« هذا ما يفكر فيه القط .. ( مصطفى ) كان يدعو الفتاة التى ضربته باسم ( فاتن ) ! »

« هل تمزح ؟ »

لكنه لم يكن ينوى هذا .. فقط مد يده وحمل القط المسالم وضمه إلى صدره ..

بعد نصف ساعة جاء رجال الشرطة ..

عندما تبدأ الليلة بجريمة قتل فإنها لا تنتهى أبداً .. وقد حكينا لرجال الشرطة ذات القصة عشر مرات .. بينما حمل الإسعاف الجريح إلى سيارتهم ..

وجدت ( عزت ) يوشك على أن يحكى قصة القط ، فقلت له همساً :

« اصمت يا أحرق .. سوف يحملونك إلى المصحة العقلية حملاً .. أعتقد أن الرجل سيستعيد وعيه وسوف يتكلم ، فإن لم يفعل يمكنك القيام بهذه المجازفة .. ليس الآن .. »

قلتها بينما تلك المرأة الحسناء الملهوفة التى جلبها رجال الشرطة



تصرخ وتولول وتلطم خديها .. أداء هستيري رائع بحق .. فقط لو لم يكن اسمها مدام ( فاتن ) مطلقة ( مصطفى ) .. نظرت لها بعمق وعرفت أنها هي .. لمسة التمثيل هذه واضحة جداً لكن ليس بوسعنا عمل شيء ..

★ ★ ★

بعد يوم فتح ( مصطفى ) عينيه في المستشفى وقال لوكيل النيابة : - « ( فاتن ) فعلتها .. جاءت شفتي تتكلم عن ميراث أبى ودارت بيننا مشادة .. لم أتصور أنها ستلتقط تلك المزهرية وتهوى بها على مؤخرة رأسى .. »

لقد افترضت المرأة أنه مات ، وجمعت بقايا المزهرية وأخفتها في حقيبتها لأنها قدرت أن بصماتها على كل الأجزاء المهشمة .. لم نستفد كثيراً بشهادة القط ، لكنها كانت قريبة حاضرة لو أعوزنا البحث ولو كان ( مصطفى ) قد مات فعلاً .. فقط كان من الصعوبة بمكان أن نجد محكمة تأخذ بشهادة قط شيرازى وجل ..

قلت لـ ( عزت ) وأنا أتفحص ذلك اللوح :

- « لقد صدقت الكلمات .. لكن يبدو أنه لا يعمل في كل الأحوال .. »

قال باسمًا :

- « لو كان يعمل طيلة الوقت لجننت .. تصور كم الأفكار التى كنت سأسمعها من الذباب والصراصير فى المطبخ .. بالمناسبة الذباب كثير جداً الليلة .. هش .. هش ! »

وارتطمت يده باللوح الصلصالى الذى أضعه على حجرى ..

كراش ش ش ش !

تمت

إن لم ترق لك هذه النهاية ، فلتجرب الفصل رقم ٣٠



## -١٩-

« النافراى يقتل من استضافه .. رجل البحر الأسمر يلقي حتفه على يد زهرة زرقاء عندما يعود تناسخ اللاما إلى صبى من (لهاسا) .. »

\* \* \*

كما حكى لى ( هن - تشو - كان ) فيما بعد كنت أتصرف بغباء غريب ..

اتصلت به عدة مرات كي يزورنى ثم قررت أن أزوره فلم أجده .. الحقيقة أنه تظاهر بأنه ليس فى البيت ..

كانت الفكرة تؤرقه .. الرجل الذى استضافه هو أنا .. استضيفته يوم جاء إلى مصر مذعورًا يتظاهر بالخرس .. وأنا جدير بلقب الرجل الأسمر ..

لقد ظهر اللاما فى ( لهاسا ) .. سواء كان هذا حقيقياً أم لا فلا شك أن البوذيين يعتقدون هذا .. إذن هو موعد تحقق النبوءة ..

كان غارقاً فى هذه الأفكار وهو يمشى فى الشارع عندما رفع رأسه ليجدنى أمامه ..

صحت فى مرح :

- « هأتندا ! من العسير أن أصدق أنك فى مصر منذ شهر ولما نلتقى ! »

حياتى فى ارتباك بعربيته المميزة وقال :

- « كنت مشغولاً يا ( ريفات ) .. »

أصررت على أن أدعوه على الغداء .. لن أتركه .. كان يحاول التملص لكنى كنت غيباً ككل أبطال هذه المواقف ..

ظل ساهماً طيلة الوقت .. وعرضت عليه أن يذهب معى إلى قريتى بضعة أيام ، فكان حاداً جافاً فى الرفض بطريقة أدتنى .. لم أفهم سبب هذا التوتر .

هكذا قررت أن أتركه وشأنه بعض الوقت .. أنا غير ودود بطبعى ، لكنى أتوقع مودة بالغة مع من أظهر لهم صداقتى .. كنت عدوانياً وأنا أخبره بهذا فلم يجد مناصاً من أن يحكى لى كل شىء ..

أصغيت للقصة بعض الوقت ثم قلت له وأنا أقود سيارتى خارج الضاحية :

- « أعتقد أننى ظلمتك .. لكن دعنى أقل لك إننى لا أؤمن بحرف من هذه النبوءات .. لا أعتقد أنه من الممكن أن تقتلنى لأى سبب .. دعنا ننس هذا الكلام الفارغ .. »

قال فى حيرة :

- « النسور الحديدية تحلق فى سماء التبت .. والخيول ذات العجلات .. لو لم يحدث هذا لصرت مطمئناً .. »

- « البوذية لم تغادر التبت لتستقر فى الهند .. هذا جزء لم يحدث .. »



كنا الآن نقطع طريقاً ضيقاً وعرّاً .. لقد ابتعدنا عن العمران كثيراً جداً .. لا أعرف ماذا جاء بي إلى هنا .. لكنني قدرت أن من الواجب العودة .. كانت هناك صخرة تسد الطريق أمامنا .

وكان هناك ( خص ) على جانب الطريق يجلس أمامه رجل غليظ الملامح والشارب أسمر اللون يبدو كأنه من عمال الطرق ، فأوقفت السيارة واتجهت نحوه .. سألته عن طريقة الخروج من هذه المتاهة ..

قال لنا :

- « تفضلوا واستريحوا أولاً .. لا بد من شرب الشاي ثم أخبركم بطريقة العودة .. »

لم نكن راغبين في هذه الدعوة ، لكنني بيني وبينك أعشقت هذا النوع من الشاي الذي يعد على ( الراكية ) .. إن له مذاقاً فريداً ..

قال الرجل وهو يضع البراد على النار :

- « هل صاحبك غير مصرى ؟ »

هزرت رأسي أن نعم .. لو لم يكن قد عرف هذا فهو في ورطة ..

قال الرجل وهو يدير ظهره لنا :

- « أنا لا أحب أن أفسد كرم الضيافة ، لكن كل سنة وأنتما

طيبان .. نريد الحلوان ! حلوان خروجكما من هنا سالمين ! »

وعندما استدار كان يصوبُ نحونا رشاشاً آلياً من طراز ( بور سعيد ) .. الطراز الذي يسرقونه من الجيش ويبيعونه في الصعيد ..

هذا سطو مسلح .. لقد كنت غيبياً .. لكن هذه الأمور تنتهي على كل حال .. سوف أفقد ساعتى وما معى من مال ، لكنه لن يأخذ السيارة على الأرجح ..

لكن الكاهن الأخير كان له رأى آخر .. لقد وقف وباعد بين ساقيه وصاح :

- « تشا ساراياتا ! »

قال الرجل وهو يصوبُ الرشاش نحوه :

- « قل لهذا المخبول الأصفر أن يسمع الكلام ! »

- « كيو ساراياتا ! »

- « سوف أطلق الرصاص .. أنا لا أمزح ! »

- « جوانغ ساراياتا ! »

وانطلق الرصاص لكن الكاهن الأخير لم يكن هنا ليتلقاه .. كان قد حلق في الهواء فوق رأس الرجل ثم وجه له ركلة عاتية في حنجرته جعلته يطير في الهواء ليضرب جدار ( الخص ) ويهشم جزءاً منه ، ثم يسقط على ظهره .. ضربة واحدة لكنه لم يعرف أنه تلقاها ..

وقف ( هن - تشو - كان ) يرمق المشهد ثم قال بطريقة الركيفة :



- « أنا أضرب سيئ .. »

قلت وأنا أتفحص الجثة :

- « فى الحقيقة أنت تقتل سيئ ! لقد مات ! »

- « وجهت ضرباتى لمنطقة ( كورا ) التى تؤدى للموت .. لا وقت

لتضييع الضربات عندما يتعلق الأمر بسلاح نارى »

عندما عدنا أخيراً واتصلنا برجال الشرطة ، قضيت يوماً مرهقاً

بحق وسط تحقيقات لا أول لها ولا آخر .. كانت حالة دفاع عن النفس

واضحة ، وقد عرفوا قاطع الطريق على الفور .. إن سجله كان

حافلاً ..

وسط الزحام نظرت للكاهن الأخير مفكراً فسألنى عن سبب شرودى ..

قلت :

- « النافاراي قتل مضيفه .. ألم تلاحظ هذا ؟ الرجل الأسمر لقى

حنته على يد الزهرة الزرقاء .. هل تعرف اسم هذا الرجل .. ؟ .. »

نظر لى متسائلاً فقلت :

- « اسمه رجل البحر ! بعبارة أدق اسمه ( سليم البحرأوى ) ! »

تمت

إن لم ترق لك هذه النهاية ، فلتجرب الفصل رقم ٣٠

- ٢٠ -

شعرت بالخجل من نفسى .. أملاً الدنيا صراخاً بالتشدد بمنطقى

العلمى ، ثم أترجع على الفور عند أول اختبار .. الرجل الذى لا يكف

عن القول إن الثعابين فى منطقته غير سامة ، ثم يثب فى الهواء

مترين عندما يرى أول ثعبان ..

هكذا هزرت رأسى وطلبت من ( ماجى ) أن تعيرنى الكشاف الذى

تحمله فى حقيبتها ..

أشعلت لفافة تبغ فطلبت منى المرأة لفافة تبغ أخرى ..ناولتها

واحدة وناولتها الثقاب لأن يدي كانت ترتجف .. ثم قررت أن أترك لها

العبوة كلها .. هكذا باعدت بين ساقبيها وهى جالسة ووضعت العبوة

فى حجرها ..

دخلت الغابة تاركاً ( ماجى ) مع السيدة تخبرها أن ( رفعت )

العفريت سوف يجد الطفل حتماً .. إنه يجيد هذه الأشياء ..

أشجار فى كل مكان .. يسهل أن يضل المرء طريقه فعلاً هنا

خاصة فى الظلام .. هكذا أخرجت مفتاحى ورحت أحك علامات

واضحة على طبقة الطحلب التى تكسو الأشجار التى أمر بها ..

علامات على شكل أسهم تحدد الاتجاه ..

عندما توغلت بما يكفى رحلت أناذى ( دانيل ) بأعلى صوتى ..

كنت أوصل البحث عندما تذكرت شيئاً من أدب ( مارك توين ) ..



قصة ( هاكلبرى فان ) بالذات .. هكذا اتحنيت على الأرض والتقطت  
صخرة كبيرة لها وزن مطمئن ..

رحت أركض عائداً عكس اتجاه الأسهم ، وكانت لياقتى وقتها عالية  
فلا بد أننى عدت من ذات الطريق فى ثلاث دقائق ..

أخيراً خرجت من نطاق الأشجار .. وكان ما رأيته كما توقعت ..

( ماجى ) تحاول التملص بينما تلك السيدة تضع يدها على فمها ،  
والغرض أن تجعلها تستنشق منديلاً يغطى الأنف .. كانت السيدة قوية  
( ماجى ) هشة لذا بدا أن الصراع لن يدوم ..

أخيراً سقطت ( ماجى ) على الأرض وقد فقدت الوعي ..

قبل أن تتخذ السيدة خطوة أخرى كنت قد هويت على رأسها من  
الخلف بالصخرة .. كان الجنون والغضب يعمياننى لهذا كانت الضربة  
شبه قاتلة ..

وسقطت المرأة على الأرض ليسقط الشعر المستعار ، وينفتح  
المعطف الثمين كاشفاً عن جسد رجل مكتنز بالعضلات ..

أخيراً أرى الوجه الراقد على الأرض .. الذقن الحليقة بعناية ..  
الملاح الصلبة .. ماكياج كامل جعل منظره يبدو غريباً ..

كان ينزف من مؤخرة رأسه فخشيت أن أوجه ضربة أخرى ..

الآن ( ماجى ) تستعيد صوابها بعد ما زال تأثير الكلوروفورم ..  
تمسك برأسها الذى لا يبدو أن عنقها قادر على حمله ..

قالت لى وهى تلهث :

- « رجل ! كانت هذه خدعة ! »

قلت:

- « لقد خدعنا معاً .. لكنى إذ مشيت فى الغابة تذكرت قصة  
( هاكلبرى فان ) .. تنكر ( هاكلبرى فان ) فى ثوب فتاة ، لكن امرأة  
عجوزاً قوية الملاحظة رأت كيف يشعل الثقباب .. الفتيات يشعلن  
الثقباب بإبعاده عن وجوههن بينما الرجال يشعلونه نحو وجوههم ..  
الرجال الذين يلبسون جلباباً يفتحون سيقاتهم ليضعوا الأشياء فى  
حجرهم وهم جلوس ، بينما النساء يضمن سيقاتهن على الأشياء  
الموضوعة فى حجرهن ..

فى هذه الثوانى أظهر الرجل علامتين من علامات ( مارك توين ) ،  
لكن لم أكن لأشك فى شىء لو لم تضعنى ( المدام ) فى هذا الجو من  
التوتر النفسى وتوقع الخطر .. دعك من تردها ( نعم يتعلق برجل .  
لا .. بل يتعلق بامرأة .. امرأة لا أرى وجهها بوضوح .. ) ..

أعتقد أننى مدين لهذه المرأة لأنها جعلتنى أعود .. جعلتنى متوتراً  
غير قادر على ابتلاع هذه الخدعة ..

قالت ( ماجى ) وهى ترمق الرجل الراقد على الأرض :

- « كانت محقّة .. أهدنا ما كان ليرى النهار .. لا بد أن هذا سفاح  
أو شىء من هذا القبيل .. »



قلت وأنا أتأبط ذراعها :

- « على كل حال يجب أن نسرع قبل أن يفيق .. لابد من جلب رجل شرطة او اثنين .. »

فجأة سمعت صوت البكاء قادمًا من الغابة ..

أجفلت ونظرت للوراء وكذا فعلت ( ماجى ) ..

هذه المرة رأيت طفلاً فى السابعة من عمره يبكى وهو يخرج من بين نطاق الأشجار ..

صاحت ( ماجى ) فى ذهول :

- « هل أنت ( دانييل ) ؟ »

صاح الطفل وهو يغطى عينيه الدامعتين بقبضتيه :

- « أمى ! لقد دخلت الغابة لتلبى نداء الطبيعة وطلبت منى أن أنتظر ! لكنها لم تعد ! أنا خائف يا سيدى .. خائف ! »

تمت

إن لم تروق لك هذه النهاية ، فلتجرب الفصل رقم ٣٢

- ٢١ -

هكذا رحت أركض عبر ممرات القصر .. تسلحت بشمعدان ثقيل على المائدة ، ثم اتجهت إلى الغرفة التى اتخذتها لها ..

يبدو أن ( أندرو ) كان محقًا .. ولربما لو قضيت ليلتى فى غرفتها لما حدث شيء .. أيًا ما كان ما يحدث بالداخل فهو شرير .. دعك من أننى أنا بالذات لا أجد له تفسيرًا .. ..

هل أفتح الباب لأجد ذلك الشيطان ذا العباءة منحنيًا على عنقها ، ثم يشعر بى فيطلق فحيحًا كالقطط ، ويتحول إلى وطواط يحلق مغادرًا من النافذة ؟ لو كان الأمر كذلك فإن الحياة مسلية حقًا .. .

لكنى على الباب لم أحب كثيرًا تلك الأصوات الصادرة من الداخل .. للحظة الأولى فطنت إلى حماقتى .. إن أبسط الاحتمالات طرًا هى أن يكون المتسلل لصًا ، فكيف أواجهه بهذا الشمعدان ؟

جريت عبر الممرات إلى غرفة ( جراهام ) فقرعت الباب وركلته حتى فتح أخيرًا .. الخادم البريطانى الوقور وقد عقد الروب حول خصره يضع يده على فمه غير مصدق ، فهو لم يرنى فى هذا الجزء من القصر منذ ولدت .. قلت له أن يأتى معى لأن ضيفتنا فى خطر . كنت أعرف أن لديه مسدسًا ..



هكذا جرى معى إلى غرفة ( إيصابات ) .. قرعت الباب مرة ولم أنتظر ردًا وأمسكت بالمقبض وفتحتة .. أضأت النور وألقيت نظرة على الغرفة الفسيحة ..

لا يوجد شيء مريب أو غريب .. هناك جسد نائم فى الفراش .. إنها هى .. دنوت منها وتحسست عنقها فوجدتها نائمة فى عمق ، .. لكنها كانت أكثر شحوبًا والعرق البارد يبيل الوسادة ..

إلى أين ذهب المتسلل ؟ راح ( جراهام ) يبحث وراء الستائر وفى خزانة الثياب وتحت الفراش .. إن الشرفة مواربة ويسهل للمتسلل أن يغادرها فقط لو صار له جناحان ..

خرجت إلى الشرفة التى يغمرها ضوء القمر ، ونظرت منها .. كان هناك إفريز خارجى يمكن المشى عليه بشيء من الرشاقة .. أعتقد أن هذا كان سبيل المغادرة ولا شك ..

ماذا نفعل بعد هذا ؟ نطلب الشرطة ؟ لا أعتقد .. إن فكرة اللصوص تضايقتى فعلاً .. لكن كيف أثبت أنى لم أكن أتوهم ؟

قلت لـ ( جراهام ) :

- « لا أعتقد أنه من الحكمة تركها .. سوف أمضى الليل معها ما بقى منه .. لن أتصل بخطيبها الآن فلن يستطيع اللحاق بى فى ساعة كهذه .. »

هز رأسه فى وقار وقال بلهجته الأक्सفوردية :

- « إذن هل تسمح لى آنستى بأن أترك آنستى كى أحظى بساعتين من النوم ؟ »

بدا لى غيابه غير محبب ، لكنى وافقت على كل حال بشرط أن يترك لى المسدس ( الذى لا أعرف كيف أطلقه ) .. وهكذا أضأت الغرفة وجلست إلى مقعد يستند إلى الجدار بحيث أرى الفراش بوضوح ، وكانت هى نائمة كالأطفال .. منهكة كما هو واضح .. وتساءلت عما إذا كان قلبها يتحمل المزيد من فقد الدم ..

من الذى تسلل للغرفة ؟ هذا لغز حقيقى .. هل هو ( جراهام ) نفسه ؟ إن الإفريز يصل إلى شرفة غرفته .. لكن لماذا يفعل ذلك ؟ هل المتسلل لص وشعر بنا ففر ؟

على كل حال لقد اقترب الفجر وصار على أن أنتهى بسرعة .. كان الأمر مرهقًا فى البداية حينما كان على أن أذهب لبيت صديقتى كل ليلة .. اليوم هى عندى ومتاحة لى فى أى وقت .. نهضت فتناولت منشفة وطوحتها لتدارى عدسة الكاميرا .. ليس هناك شهود لكنى لا أريد أن تظهر هذه اللقطة على الشاشة .. هكذا نهضت إلى الفراش ووضعت ركبتى على الوسادة جوارها ، ودنوت من عنقها وبدأت أتناول وجبتى ..



لن تفهمنى يا ( رفعت ) .. لقد تغيرت جداً عن الفتاة التى  
عرفتها .. لكن فلتعلم أن حياة الوحدة وكل هذه الأشباح تحدث  
الأعاجيب فى نفسية المرء .. دعك من أن هذا هو التعبير الأسمى  
للسداقة .. إن ( أليصابات ) تجرى فى عروقى حرفياً الآن !

لن تستطيع أن تفعل شيئاً لأن أحداً لن يصدقك .. ولسوف أقسم  
على أن هذا الخطاب دعابة لا أكثر لو أنك تكلمت .. فقط أردت أن  
تعرف حقيقة جديدة من حقائق الحياة ، ولتحمد الله على أننى لست  
بجوارك الآن .. من يدري ؟ ربما أفعل هذا فى وقت قريب !

تمت

إن لم ترق لك هذه النهاية ، فلتجرب الفصل رقم ٣٦

- ٢٢ -

مشيت شارداً الذهن مع الفتى فى شوارع الزمالك .. كنت أفكر فى  
هذا الكلام الغريب الذى حكاه لى وبدأ الأمر أقرب إلى السخف ..

قال وهو ينظر إلى السماء ويجفف عرقه :

- « ما أشد الحر ! يوشك الأسفلت على أن يشتعل ! »

من جديد تحقق الكابوس .. لقد بدأ الحر يزداد ويزداد ثم فوجئت  
بأن النار تشب فى أسفلت الطريق .. فجأة تحول إلى قطران سائل  
مشتعل يصلح لمهاجمة قلاع القرون الوسطى ..

قلت فى ذعر وأنا أثب إلى الوراء :

« خذ الحذر .. لا أصدق ما أراه لكنك قادر على وقفه ! »

صاح وهو ينظر حوله :

« لقد عادت الحرارة لمعدلاتها الطبيعية ! »

هكذا انطفأت النيران .. لم يبق إلا رائحة الشياطين ..

هذا لا يصدق .. هذه قوة لا يمكن وصفها ..

قال لى وهو يجفف عرقه من جديد :

« لكن لا أستطيع أن أمر الأشياء .. لا أستطيع أن أمر النار بأن تنطفى ..

فقط يجب أن يكون كلامى مجازياً .. مثلاً لو أردت أن تمطر السماء .. »



قلت له بسرعة كي لا يتكلم أكثر :

- « صه ! لو أردت أن تمطر السماء فأنت لا تأمرها بذلك .. بل تقول شيئاً على غرار : إن المطر غزير .. هذا مفهوم .. مفهوم »

- « نعم .. »

- « وما سر قلقك من هذه الموهبة العجيبة ؟ »

- « أنني صرت أحياناً متوتراً .. أخشى أن أقول شيئاً خطأ .. لقد صار لساني خطراً كالثعب .. »

وضعت يدي على فمه منذراً :

- « لا تتكلم يا أحمق ! كنت ستقول : صار لساني خطراً كثعبان ..

ترى ماذا كان سيحدث ؟! »

اتسعت عيناه في رعب ، وقال :

- « نعم .. نعم .. نسيت ذلك .. الآن أنت تفهم مشكلتي .. »

في هذه اللحظة سمعت صراخاً وصوت خطوات ، فنظرت إلى الورا لأرى ذلك اللص يركض ومن خلفه نحو عشرة رجال من المتحمسين .. في يده حقيبة وهو رشيق الحركة كما يليق بلص .. واضح انه سيفلت ..

قلت لـ ( هن - تشو - كان ) همساً :

« هل ستبدأ ( السراياتا ) ؟ أتذكر موقفاً مماثلاً منذ لقائنا الأول .. »

قال باسمًا :

- « لم يعد هناك داع لهذا الآن .. إن هذا اللص ضعيف معدوم اللياقة وسيقع في أيدي مطارديه »

منبهراً رأيت اللص يمسك ب صدره كأنه يجاهد من أجل التنفس ، ثم يسقط أرضاً وهو يسعل كأنه يبغى إخراج رئتيه .. وسرعان ما أحاط به العشرة ليوسعوه ضرباً ..

إنها طريقة سهلة جداً .. من السهل بهذه الطريقة أن تسحق الجيوش وتملك الثروات .. إذن لماذا وقف الرهبان خائفين تاركين الصينيين يدنسون ديرهم ؟ يدنسون التبت كله ويطردون ( الدلاي لاما ) ؟

نقلت له هذا التساؤل فقال شارداً الذهن :

- « حقاً لا أعرف .. يخيل لي أن هذه القلادة لا تعمل إلا معي .. من يدري ؟ ربما كانت تنتظرنى كل هذه السنين .. أعتقد أن الكاهن عرفنى عندما رآنى .. »

ومرت بنا فتاة حسناء لم ألاحظها ، لكنه التفت لها وبدأ عليه الارتباك وقال :

- « لا أعرف كيف تسمح فتاة لنفسها بأن تمشى عارية بهذه الطريقة ! »

سمعت الصرخة الأنثوية المذعورة المصدومة من الخلف فاستدرت



مندهشاً ، لكنه جرنى من ذراعى وركض مبتعداً وقد احمر وجهه ..  
فقط راح يغمغم وهو يواصل الركض مصححاً ما ارتكبه من خطأ :

- « إنها تلبس ما يكفيها من ثياب! تلبس الكثير جداً ! »

أخيراً وقد صرنا فى مكان بعيد آمن ، طلبت كوبيين من العصير ،  
وقلت له إننى افهم جيداً مشكلته لكنى لا أراها مستحيلة الحل ..

- « فقط سوف تقول إن القلادة ستعود لصاحبها الأصلي .. أعتقد  
أن هذا ينهى كل شىء . »

- « ربما كان صاحبها الأصلي شريراً .. »

- « إذن قل إن القلادة ستعود لرهبان الدير الذى تعرف أنت اسمه .. »

رشف رشفة من العصير وقال إن له مذاق عصير الشعير المختمر ..  
طبعاً لم أجسر على لمس كوبي فقد صارت راحته لعينة ومنظره ألعن ..

مد يده فى جيبه وأخرج القلادة ووضعها على المنضدة .. ثم قال :

« كالعادة أنت مفيد لى يا ( ريفات ) . لو أردنا الدقة لجعلناك تمث .. »

صحت فى هلع :

« أرجوك لا تذكرنى بخير أو بشر .. لا تقل إننى أصلح تمثالاً من  
فضلك لأن حياة التماثيل ستكون مملة جداً .. فقط انته من هذه القلادة

سريعاً .. »

رشف رشفة أخرى من العصير وقال :

« بالفعل هى خطرة .. منذ وجدتها وأنا عاجز عن فتح فمى .. »

لم أفطن إلى الكارثة إلا متأخراً جداً .. فقط عندما سمعت الـ  
( ممممم ! ) فطنت لمعنى العبارة .. ورفعت عينى لأجده محتقن  
الوجه والعصير يسيل من ركنى فمه ، ويبدو أنه يبذل جهداً حقيقياً كي  
يفتح فكه ..

إنها كارثة حقيقية .. الطريقة الوحيدة للخلاص من هذه التعويذة  
هى أن يتكلم .. وكيف يتكلم وقد أغلق فمه للأبد ؟

مددت يدى أساعده على النهوض .. لا بد أن أحد أصدقائى من  
جراحى الفم والأسنان قادر على حل هذه المشكلة وإلا نحن فى ورطة  
حقيقية ..

ورطة تعجز عن وصفها الكلمات !

تمت

إن لم ترق لك هذه النهاية ، فلتجرب الفصل رقم ٢٧



- ٢٣ -

قلت لها في غيظ :

- « لا تحدثيني عن ( ساوين ) هذا من فضلك .. إله وثنى كان الكلت يعبدونه .. لا أبني أية استنتاجات على هذه الخرافات .. »

كان وهج اللهب في المدفأة يترقرق على وجهها وهي تقول :

- « لا أعنى ( ساوين ) ذاته .. أعنى أن هذه التعويذة ذات تأثير شرير ما .. يبدو أنها مهمة في العقائد الدرويدية »

- « تأثير شرير مثل ماذا ؟ »

- « مثل هذا .. »

قالتها وهي تنظر إلى الجدران .. بالفعل كانت القاعة ترتج .. وسمعنا صوتاً غير آدمى يصيح من الخارج .. اعتقد أنها كانت عدة أصوات كأن هناك مظاهرة صاخبة حول القلعة ..

نظرت لها في حيرة فقالت :

- « في هذه الليلة يحاول الموتى أن يحتلوا أجساد الأحياء .. هل نسيت ؟ »

- « كنا نتحدث عن ليلة الهالوين .. ليلة ٣١ أكتوبر .. ليست هذه الليلة على كل حال .. »

- « اعتقد أن التعويذة هي نداء لشيء مماثل .. »

قلت مفتاضاً :

- « الموتى لا يغادرون القبور إلا يوم القيامة .. كفى عن هذا .. »  
نهضت مسرعة وصعدت الدرج في ضوء الشمعة .. ثم فتحت نافذة صغيرة هناك وألقت نظرة إلى الخارج .. ثم هتفت :

- « ( رفعت ) .. تعال وألق نظرة .. »

هرعت ألحق بها ونظرت من تلك النافذة الشبيهة بكوة تطل على الخارج .. إنها ترتفع أربعة أمتار عن الأرض وتطل على مدخل القلعة .. ما رأيته كان غير بشرى .. هذا مشهد من كابوس لا شك فيه ..

الظلام يعم الفناء لكنك ترى تلك الأجساد المشوهة التي تتحرك كالعميان ، وعددها لا يقل عن عشرة .. إنهم يتزاحمون ويتخبطون ويحاول أحدهم أن يديق الباب .. بالواقع يحاول أن يفتحمه ..

ما هذا الذي يجرى ؟

- « إنهم لا يبدون أحياء ! »

أجفنا لدى سماع هذا الصوت ، ثم أدركنا أنه ( جراهام ) رئيس الخدم الذي جاء يركض من الطابق العلوى وفي يده بندقية .. قال وهو يقف وراء الباب :

- « سمعت الضوضاء من أعلى .. ونظرت من النافذة فوجدت هذا المشهد الذى لا يوصف إلا بالغرابة .. اعتقد أن سيدتى الصغيرة سوف تسمح لى بأن أقترح أن نتصل بالشرطة .. »



هزت رأسها مذعورة ..

قال الرجل وهو يختلس النظر عبر نافذة شفافة في أعلى الباب :

- « من هؤلاء ؟ من أين جاءوا ؟ »

قلت في حيرة :

- « وكيف جاءوا بهذه السرعة ؟ »

قالت ( ماجى ) :

- « لأن أحدهم قرأ الكلمات المكتوبة على تعويذة كلتية قديمة ..

هل نسيت ؟ »

ثم التفتت إلى ( جراهام ) وقالت بلهجة أمرّة :

- « ( جراهام ) ... أرجو أن تطفى المدفأة وكل الشموع .. »

- « سيدتى ؟ »

- « افعل ما أقول لك .. سوف نلتزم بالأسطورة حرفياً .. يجب أن

تكون القلعة مظلمة باردة .. بعد هذا سوف نفر من هنا ونشعل ناراً

في الخلاء .. هات سائل إشعال الموقد وثقاباً وقدنا إلى مخرج القلعة

الذى يقود للبحيرة »

ظللت صامتة وإن عرفت بسهولة من صار القائد هنا .. لقد أخرسنى

عدم الفهم وأخرسنى الذعر ، أما هى فكانت واثقة هادئة الجنان ..

صفات القائد بلا جدال ..

كان الظلام دامساً الآن لا نهتدى إلا بضوء الكشاف ، بينما نحن نهرع إلى معمر قديم فى القلعة .. معمر من تلك الممرات التى تصطف دروع فرسان العصور الوسطى على جانبيها .. كان ( جراهام ) يتقدمنا بصفته أعلمنا بهذه القلعة .. إنه قضى فيها وقتاً أكثر من مالكتها نفسه ..

أخيراً كان هناك باب خشبى موصل ، فعالجه ( جراهام ) حتى انفتح وهرعنا إلى الخارج لنرى مشهداً ساحراً لبحيرة ( لوخ نس ) تترقرق فى ضوء القمر .. إذن نحن درنا حول القلعة ..

قالت ( ماجى ) وهى تشير لرقعة من الأرض :

- « سوف نشعل النار هنا .. »

أشعنا نراً لا بأس بها مستعينين بأغصان الأشجار وسائل إشعال الموقد ..

دعنى أخبرك أن التأثير لم يكن محبباً .. أحياناً لا تجلب النار الدفء والسعادة كما نتخيل .. فقط جلبت لنا الوحشة ... لكننا كنا معاً على الأقل ..

ظللنا صامتتين وفجأة هتفت ( ماجى ) :

- « أبى ! »

نعم .. نسينا هذا الجزء .. لو عاد الرجل الآن فماذا سيجد ؟ لا

أكره شيئاً قدر البراعة فى غير موضعها .. سوف يعود لداره بريئاً

لا يفهم ما ينتظره ..



- « لا تنكر أنك صدقت هذا كله .. »

قلت لها فى ذهول :

- « والتعويدة ؟ »

- « إنها عندي من زمن .. فقط دستتها فى المجلد وأصقت ورقة عليها .. أعتقد أنك لم تجرب عيد ميلاد مماثلاً من قبل .. إن (جراهام) يمقت المزاح لكنه قبل مجاملة لى ، وطبعاً هو من قطع التيار الكهربائى .. »

كانت ليلة لا تنسى .. بالذات عندما انتهت السهرة وعدنا للقلعة لنكتشف أن الباب الرئيس مفتوح . وأن هناك من عبث بكل ركن من قاعة الجلوس ... هناك من صعد الدرج وهناك من دخل غرفة أو غرفتين وجعل راحتهما لا تطاق .. هؤلاء الشباب مذعورون حقاً ويقسمون على أنهم لم يدخلوا القلعة قط وأن الدعابة تنتهى بهذا اللقاء على ضفة البحيرة ، لكنى لم أعد مستعداً لتقبل الطبقة الثانية من هذه الدعابة .. من يُخدع مرة فعار على من خدعه .. من يُخدع مرتين فعار عليه هو ..

ألا ترى هذا معى ؟

تمت

إن لم ترق لك هذه النهاية ، فلتجرب الفصل رقم ٢٦

وجاء دور ( جراهام ) ليهتف :

- « كان يجب على سيدتى الصغيرة أن تتخلص من التعويذة لو كان لى أن أقول هذا .. إنهم قادمون ! »

التفتت إلى الوراء فى ذعر فرأيت تلك المسوخ قادمة نحونا عبر شاطئ البحيرة .. ببطء لكن بثقة .. نفس المشية المترنحة التى يمشى بها الزومبى فى أفلام ( فولتشى ) ونفس المنظر المريع .. رفع ( جراهام ) بندقيته لكن ( ماجى ) هتفت امرأة :

- « لا تفعل .. يجب أن نعرف ما يريدون .. لن يؤذونا ما دمنا لسنا فى بيوتنا »

كانوا يقتربون .. يقتربون .. حتى صار أقربهم على بعد ستة أمتار .. الآن هو واضح المعالم فى ضوء اللهب المتراقص ... هناك شىء غير معقول هنا .. شىء لا أبتلعه جيداً .. إن هذا الوجه .. هنا رأيتهم جميعاً ينزعون الأقنعة المخيفة ويرددون بصوت عال :

- « عيد ميلاد سعيد ! »

هذا ( مكجريجور ) وهذا ( ماكبى ) .. هذه ( ليزا ) وهذا ( أرشيبالد ) .. إنه مقلب .. لكن من رتبته لى ؟

- « عيد ميلاد سعيد يا ( رفعت ) ! »

كانت ( ماجى ) تضحك حتى سال الدمع من عينيها ، وقالت :



- ٢٤ -

وصلت إلى الشقة في وقت قصير نسبياً ، فاتا أسكن قريباً من هذا العنوان .. وكانت لدى خطة طموح هي أن نترك فنان الأعمال المركبة الفقيد حيث هو ، ونمضى الليل عندي وفي الصباح نتخذ ما نجده ضرورياً من إجراءات ..

فتح ( عزت ) الباب لى وكان تأثير ما يحدث واضحاً على وجهه .. كان الأستاذ ( أنيس ) جالساً تحت شجرة من أشجار الغابة ، وهناك قرد صغير من البلاستيك يتدلى على كتفه .. مشهد غريب فعلاً .. دخل في شقة وقرد وجثة نصف جالسة ..

ركعت جواره وقمت بالفحص اللازم .. الحدقتان .. النبض .. ضغط الدم .. مرآة تحت الأنف لقياس بخار الماء .. بالفعل هو متوف .. لا شك في هذا ..

كان ( عزت ) الآن على حافة الهستيريا .. وقال :

- « هذا هو ثالث موضع يتخذه ! »

قلت في ضيق :

- « ميتاً أو حياً .. إن حالة عظامه لا تسمح بالسير ، ولا أعتقد أن الموت شفاه من ثانويات العظام »

ثم إننى عرضت عليه الرحيل فوافق على الفور .. سوف نضع الفقيد في فراشه ثم ننصرف .. والصباح رباح كما يقولون ..

حتى هذه اللحظة كنت متأكداً من أنه واهم .. فى البدء اعتقدت أنه واهم بصدد الوفاة ، أما الآن فأحسبه واهماً بصدد الحركة ..

هكذا حملنا الأستاذ ( أنيس ) إلى الفراش العجيب الذى يبدو كأنه فراش موت ( ليفنجستون ) جوار منابع النيل ، وهو الذى وجدناه فيه أول مرة ، ثم إننى اتجهت إلى الصالة بينما قام ( عزت ) بتغطية وجه أبيه الروحى وعاد لى ..

كان يرتجف من التوتر ومن البرد ومن شبه صدمة عصبية .. سألته :

- « هل لديك خطط لصباح الغد ؟ »

ثم تذكرت الوقت فقلت مصححاً :

- « بل صباح اليوم »

- « إن له ابناً عاقاً .. لابد من إبلاغه لأن وضعه سيكون طبيعياً أكثر منى .. لن أستطيع عمل شيء وحدى ما لم أتصل بالشرطة .. »

بحثت فى جيبى فلم أجد مفاتيح السيارة .. أنا متأكد من أننى جئت بها .. هذا واضح .. وإلا لما استطعت قيادة السيارة لهنأ .. هذه الاستنتاجات المنطقية هى ما يميز الأذكىاء ..

بحثت فى كل مكان فلم أجد .. بقى موضع واحد هو تلك الخيمة فى الدغل حيث يرقد الفنان الفقيد ، وهكذا عدت إلى تلك الغرفة الكئيبة ..



بحثت في الأرض التي يكسوها عشب صناعى وصخور مطلية  
بالزيت عن المفاتيح .. بالفعل وجدتها هناك .. فجأة رفعت عيني لأجد  
الفقيد يجلس تحت شجرة من تلك الأشجار الصناعية .. نفس الوضع  
السابق وعيناه مغمضتان .. لكنه يستند إلى الجذع ..

لقد تحرك فعلاً !

أطلقت صيحة برغى فهرع ( عزت ) إلى .. رأى المشهد فتهافت  
قدماه من تحته .. لقد فقد الوعي ..

إن هذا أكثر مما يتحملة بنيانه الواهن ..

خرجت إلى الصالة حيث تركت حقيبتى فانتقيت محققاً جميل الشكل  
مع أمبول من الكورتيزون .. هذه الحقنة قد تنقذ حياة الفتى  
المصاب بنقص مزمن فى هذا الهرمون السحري ..

ملأت المحقن وعدت إلى قطاع الأدغال .. لقد بدأت أمقت هذه  
الثقة التى بهرتنى فى البداية .. إنها متاهة لا يمكن تصور وجودها  
لدى شخص عاقل .. لا يمكنك العودة إلى نفس المكان بسهولة ، ولو  
كنت أنا مالك هذا البيت للبيت نداء الطبيعة تحت هذه الأشجار  
الصناعية ، لأننى لن أجد أبداً الحمام وسط هذه التعقيدات ..

لكن ما إن دخلت قطاع الأدغال حيث فراش الفقيد ، حتى فوجئت  
بمشهد لا يصدق ..

كان ( عزت ) مغمض العينين لكنه يمشى على قدميه ، وبين نراعيه

كان يحمل جثة العجوز الملتحي فى رفق واضح كأنه يحمل رضيعاً ..  
رأيته يخرج من قطاع الأدغال فيتجه إلى قطاع الفضاء ، ليريح  
جثة أستاذه على فوهة بركانية من فوهات القمر .. ثم يصلح من  
وضع رأسه ليبدو كالجالس ، ويعود بذات الخطوات المترددة التى  
تميز الماشين نياماً إلى القطاع الذى كان فيه ..

الآن فهمت !

هذا المسكين لم يتحمل فكرة فقد الرجل الذى كان يحبه كل هذا  
الحب ، لذا تصرف عقله الباطن على مسئوليته الخاصة .. فى كل مرة  
يدخل فى شبه نعاس من ثم يمشى أثناء نومه ، ويحمل الجثة خفيفة  
الوزن ليضعها فى مكان تبدو فيه حية .. ثم يفيق فيصيبه الذعر لأنه  
نسى كل شىء عن هذه العملية .

قرأت ذات مرة قصة حقيقية عن صديقين احتجرتهما العاصفة فى  
كوخ فى ألاسكا ، ومات أحدهما بينما ظل الآخر حياً .. وفى كل صباح  
ينهض من نومه ليجد جثة صاحبه جالسة إلى المائدة ! فيما بعد  
اتضح أنه كان يحمله من السرير حملاً ويضعه على المنضدة ؛ لأنه لم  
يتخيل فكرة موته ولا فكرة البقاء وحيداً ..

لقد تحرك الأستاذ ( أنيس ) فعلاً ، لكن بيد تلميذه المخلص الذى لا يعرف  
أنه فعل هذا ..

قمت بحقن ( عزت ) ففتح عينه .. وكان أول ما بحث عنه هو  
الجثة .. وهتف :



- « لقد تحركت ثانية ! »

قلت فى صبر وأنا أضع قطعة قطن على موضع الحقن :

- « تحركت للمرة الأخيرة ، لكنى أعدك أنها لن تكرر هذا ثانية ..

فقط لنعد الآن لبيتنا وغداً يوم آخر .. »

ثم نظرت لساعتي وقلت مصححاً :

- « أعنى أن اليوم يوم آخر ! »

تمت

إن لم ترق لك هذه النهاية ، فلتجرب الفصل رقم ٣١

- ٢٥ -

« النفاىراى يقتل من استضافه .. رجل البحر الأسمر يلقى حتفه على يد  
زهرة زرقاء عندما يعود تناسخ اللاما إلى صبى من ( لهاسا ) .. »

★ ★ ★

كما حكى لى ( هن تشو كان ) فيما بعد كنت أتصرف بغباء غريب ..

اتصلت به عدة مرات كى يزورنى ثم قررت أن أزوره فلم أجده ..  
الحقيقة أنه تظاهر بأنه ليس فى البيت ..

كانت الفكرة تؤرقه .. الرجل الذى استضافه هو أنا .. استضافته يوم جاء  
إلى مصر مذعوراً يتظاهر بالخرس .. وأنا جدير بلقب الرجل الأسمر ..

لقد ظهر اللاما فى ( لهاسا ) .. سواء كان هذا حقيقياً أم لا فلا شك  
أن البوذيين يعتقدون هذا .. إذن هو موعد تحقق النبوءة ..

كان غارقاً فى هذه الأفكار وهو يمشى فى الشارع عندما رفع رأسه  
ليجدنى أمامه ..

صحت فى مرح :

- « هأتذا ! من العسير أن أصدق أنك فى مصر منذ شهر ولما نلتق ! »

حياتى فى ارتباك بعربيته المميزة وقال :

- « كنت مشغولاً يا ( ريفات ) .. »

فى النهاية اضطر إلى أن يحكى لى كل شىء .. سمعت القصة فى  
دهشة لكنى على كل اعتدت سخف العرافين .. ما هى الظروف التى  
قد تدفعه لقتلى ؟



ثم إننى لست رجل البحر على كل حال ..

اصطحبته معى إلى البيت وأعددت لنا غداء مقززًا .. أى أنه سيروق له ..

بعد الغداء دخلت لأغسل الأطباق كدأبى .. سدوت الحوض وبدأت أملؤه بالماء .. فجأة شعرت بذلك الألم الماحق الضاغط على صدرى .. أنا لست طفلاً .. لقد جربت النوبات القلبية ألف مرة .. هذه نوبة لا شك فيها .. لكنها قوية بالفعل هذه المرة ..

سقطت على ركبتي .. العرق يغمر جبيني .. صحت بصوت يختق :

- « ( هن - تشو .. ! )

ليت له اسم أقصر من هذا !

جاءنى مسرعًا بخفته المعهودة وأصابه الهلع عندما رأتى جاثيًا على ركبتي جوار الحوض وسط الماء الذى يتدفق منه بلا انقطاع ..

- « هناك ع .. ع .. ع .. علبه أقراص فى الكومود جوار فراشى .. ب .. بسرعة ! »

بنفس خفة القط وثب خارجًا .. وفى لحظات وجدته يسند رأسى ويفتح العلبه ثم يدس قرصًا تحت لساتى ..

حجم القرص غير مريح .. مذاقه ليس هو .. مددت يدى وتفحصت العلبه .. هذا دواء للربو يحتوى مادة ( الإفدرين ) .. محاكيات الجهاز السمبثاوى .. ألعن مادة يمكن أن تعطىها لشخص مصاب بنوبة قلبية .. إنها الطريق الملكى لقتله ..

أما لماذا هى عندى فسل عن هذا أى طبيب .. إن لديه خزينا من أدوية السكرى والسرطان وأدوية ترفع ضغط الدم وأدوية تخفضه .. إنها عينات شركات الأدوية التى يحتفظ بها حتى ينسى كنهها .. بصقت الحبة وقلت بصوت مبحوح :

- « الدرج .. الدرج الأيمن يا أحمد .. أحقق .. »

لم ينتظر ليفهم وسرعان ما توارى . وعاد بعد قليل بالعبه المخترة ..

احتجت ربع ساعة وقرصين حتى استطعت أن أنهض على قدمى .. أغلق صنبور الماء ، وقال لى فى حماس آسيوى كأنه سيضحى بروحه من أجل التبت :

- « ريفالات .. سأغسل أنا الأطباق .. »

- « هذا كرم منك ... »

وذهبت إلى الصلاة مترنحًا .. فقط لم أتس أن أقول له قبل أن أرحل :

- « لا أحب أن أرى نبوءة تتحقق .. لكن محارب النافاراي كاد يقتل مضيفه فعلاً .. رجل البحر الأسمر كاد يموت بقرص من الإفدرين .. »

تفكر قليلاً فيما قلت وبدا أن هذا الحل يرضيه .. سألتنى :

- « لكن ما هو البحر هنا ؟ »

أشرت إلى ثيابى التى أغرقها الماء الذى ملأ الحوض، وقلت :

- « هل يوجد بحر أكثر من هذا ؟ فقط اللاما العظيم لم يفرق بين البحر والنهر وماء الصنبور .. إن منات السنين تغفر له قلة الدقة هذه ! »

تمت



- ٢٦ -

قلت لها فى غيظ :

- « لا تحدثينى عن ( ساوين ) هذا من فضلك .. إله وثنى كان الكلت يعبدونه .. لا أبنى أية استنتاجات على هذه الخرافات .. »

كان وهج اللهب فى المدفأة يترقرق على وجهها وهى تقول :

- « لا أعنى ( ساوين ) ذاته .. أعنى أن هذه التعويذة ذات تأثير شرير ما .. يبدو أنها مهمة فى العقائد الدرويدية »

ثم نظرت فى ساعتى وقلت إن وقت الانصراف قد حان .. شكراً على أنها تذكرت عيد ميلادى .

- « ألن تنتظر حتى يعود التيار الكهربى ؟ »

- « فى بلدى ننتظر كثيراً جداً جداً .. أفضل أن أرحل الآن .. »

ناولتنى الكتاب وتلك التعويذة التى وجدتها فيه ، وقالت إننا سنلتقى يوم الاثنين فى الجامعة ؛ لذا يمكن أن نذهب معاً لرئيس دائرة التاريخ لاستشارته ..

خرجت مغادراً القلعة وأنا أصفر .. نظرت إلى الخلف فرأيت أنها مظلمة بالكامل .. بينما أضواء البلدة من بعيد موجودة .. حقاً هناك شىء غريب ..

مشيت مصفراً لحناً مصرياً وأنا أفكر فى برنامج الغد ..

هنا خيل لى إتنى أسمع خطوات من خلفى .. توقفت واستدرت فلم أر أحداً ..

واصلت المشى فعادت الخطوات !

أعرف هذه الألعاب .. هناك من يتبعنى .. يمشى حينما أمشى ويتوقف عندما أتوقف .. لكن أين يتوارى ؟ الجواب سهل لأننى أمشى جوار تلك الغابة التى تقود إلى البلدة .. هناك ألف شجرة تصلح لأداء هذا الدور ..

ظللت واقفاً بعض الوقت ثم هممت بالانصراف عندما رأيت ذلك الكائن قادماً من بعيد ..

لماذا اعتبرته كائناً ؟ السلويت المميز له لم يكن يوحى بكائن بشرى .. كان يمشى على قدمين وله ذراع ورأس لكنه لم يبد لى بشرياً .. وقد أصابنى مرآه بالهلع فمشيت مسرعاً وأنا أخشى أن أنظر للخلف .. لا أريد أن أرى تفاصيل أكثر منه ..

إنه يمشى ورائى .. ثم توقفت خطواته ..

التفت للخلف من جديد فوجدت أنه سقط على ركبتيه وأنه يلوح بذراعيه كأنه يعانى ألماً مروعاً .. ثم نهض من جديد وواصل المسير فواصلت فرارى ..

من هذا ؟ ماذا يريد ؟ الأمر يتعلق حتماً بتلك التعويذة اللعينة ..

جاءت اللحظة التى فقدت فيها التحكم فى أعصابى فرحت أجرى ..



فقط نظرت للخلف مرة واحدة فوجدت أنه يركض خلفي !

كنت على اللياقة في تلك الأيام ( نسبيًا ) لهذا ظللت أركض .. فقط كان التوتر الشديد من العوامل التي جعلتني في حالة أسوأ .. كل هذا الأدرينالين في عروقي لا يمكن أن يرحم قلبي ..

البلدة من بعيد بأضوائها .. صارت كأنها أرض الميعاد ... الحلم الذي نموت على أبوابه ..

كنت الآن أركض بمحاذاة بحيرة صغيرة .. وخطر لى أن هذا الشيء لا يلاحقنى أنا .. إنه يلاحق التعويذة اللعينة .. إذن فلماذا لا أتخلص منها الآن ؟..

أخرجتها من جيبي وطوحت بها في البحيرة لأسمع صوت ( سبلاش ) .. ورحت أركض .. نظرت للخلف فوجدت هذا الشيء قد كف عن ملاحقتي وإذا به يتجه إلى البحيرة .. ومن جديد سمعت صوت ( سبلاش ) أعلى ..

تنفست الصعداء .. على ألا أكف عن الركض لأنى لا أعرف متى يستردها ويعود لى !

البلدة ! البلدة !

★ ★ ★

قابلت ( ماجى ) يوم الاثنين في الجامعة فقلت لها إننى فقدت التعويذة ..

غضبت منى جدًا .. لو كان الإنسان يهمل في أشياء مهمة كهذه فماذا يفعل في أشياء أقل ؟ هذه التعويذة تمثل أثرًا من آثار الكلت النادرة .. كان بوسع شيء كهذا أن يضمن لنا موضعًا في كتب التاريخ وكتب الآثار معًا ..

- « والكتاب ؟ »

- « بخير .. قرأت فيه أمس ووجدته شديد الإمتاع .. »

قالت وهى تحاول أن تتخلى عن مزاجها العصبي :

- « على كل حال لم تكن ليلة سارة .. لقد ظل التيار الكهربى مقطوعًا حتى الصباح .. دعك من الجثة التي وجدوها في البحيرة .. »

- « أية جثة ؟ »

- « جثة متحللة وجدوها طافية على الماء .. الغريب أن حالتها كما يقول رجال الشرطة تدل على أنها جثة قديمة نخرة .. هناك مجنون ما أخرجها من المقابر وألقى بها في البحيرة قرب مدخل البلدة .. لماذا فعل ذلك ؟ وكيف حملها ؟ لا أحد يعرف .. لقد كانت ليلة جديرة بأن تكون عيد ميلادك .. فعلاً هي جديرة بعيد ميلادك ! »

تمت



-٢٧-

مشيت مع الفتى شارد الذهن فى شوارع الزمالك .. كنت أفكر فى هذا الكلام الغريب الذى حكاه لى وبدا الأمر أقرب إلى السخف .. وفى جيبى كنت أعتصر تلك القلادة الغريبة بعد ما طلبت منه أن أراها ..

قال وهو ينظر إلى السماء ويجفف عرقه :

- « ما أشد الحر ! يوشك الأسفلت على أن يشتعل ! »

من جديد تحقق الكابوس .. لقد بدأ الحر يزداد ويزداد ثم فوجئت بأن النار تشب فى أسفلت الطريق .. فجأة تحول إلى قطران سائل مشتعل يصلح لمهاجمة قلاع القرون الوسطى ..

قلت فى ذعر وأنا أثب إلى الوراء :

- « خذ الحذر .. لا أصدق ما أراه لكنك قادر على وقفه ! »

صاح وهو ينظر حوله :

- « لقد عادت الحرارة لمعدلاتها الطبيعية ! »

هكذا انطفأت النيران .. لم يبق إلا رائحة الشياطين ..

هذا لا يصدق .. هذه قوة لا يمكن وصفها ..

قال لى وهو يجفف عرقه من جديد :

- « لكن لا أستطيع أن أمر الأشياء .. لا أستطيع أن أمر النار بأن

تنطفى .. فقط يجب أن يكون كلامى مجازياً .. »

قلت له باسمًا :

- « الأمر على كل حال هين .. يكفى أن تقول شيئاً على غرار : هذه القلادة ملك صاحبها الأصلي .. أو : أنا لا أعانى تأثير تعويذة ما .. »  
نظر لى فى ذهول كأنه يقول : بهذه البساطة ؟ إن السذاجة كانت دوماً جزءاً من تكوينه .. أحياناً أشعر أنه مجرد طفل كبير .. طفل له خفة القط ..

قال فى ضيق :

- « أحياناً أتمنى لو أن هذه القلادة سرقت منى ! »

فى هذه اللحظة وجدنا أننا وسط مشادة غوغائية بين أربعة أشخاص .. اثنان يتهمان اثنين بشيء ما ، والآخران يصران على أنهما كذبان .. صفعات وسباب وركلات كدنا ننال بعضها .. تدخل الكاهن الأخير برشاقة وبسرعة البرق ليفصل بين هؤلاء ، ثم نزع النظارة ونظر لهم فى حزم تلك النظرة التى تجمد الدم فى العروق .. لسبب ما جعلتهم نظرتهم يتراجعون ثم يتفرقون ..

قال لى وهو يعيد النظارة إلى أنفه :

- « إن أعصابكم مشتعلة كالنار فى هذا البلد ! »

وابتعدنا فى خطوات سريعة ..

وفى إحدى الكافيتيريات جلسنا .. طلبت كوبين من العصير ، فشربت جرعة من عصيره ، وقال :



- « إن له مذاق الشاي بالزبد ! »

نظرت له مشمنزاً .. طبعاً لو لم تؤثر كلماته فى خواص العصير فلا شك أن التشبيه نفسه مؤذ .. ذات مرة تذوقت هذا المشروب اللعين ( الشاي بالزبد ) وظللت مريضاً لمدة شهر ..

مد يده لى وقال :

- « أريد القلادة .. »

مددت بدورى يدي فى جيبي وبحثت .. ما هذا ؟

أخرجت كل محتويات الجيب وسكبتها على المنضدة .. لا شيء ..

تبادلنا النظرات .. وقلت وأنا أضرب المنضدة بقبضتي :

- « عندما وصفت أنت أعصابنا بأنها مشتعلة كالنار لم يحدث شيء . لم تكن القلادة معنا لحظتها كما هو واضح .. هؤلاء المتشاجرون كانوا يمثلون .. هذه حيلة قديمة جداً للنشل .. لا بد أن أحدهم دس يده فى جيبي وانتزع القلادة .. »

وثب بسرعة البرق إلى خارج الكافتيريا .. ورأيتَه يجرى كالمجنون نحو المكان الذى حدث فيه الصدام ..

طبعاً من المستحيل أن يجدهم لأن هذا حدث منذ ربع ساعة .. وقت يكفى لأن يبيعوا المسروقات ويفروا إلى ( أكبولكو ) للاستمتاع بما سرقوه ..

عندما عاد كانت خيبة الأمل بادية عليه .. وكالعادة لم يكن يلهث على الإطلاق ..

قلت له :

- « لا تحزن .. أعتقد أن هذه القلادة لا تعمل إلا مع أناس بعينهم .. لاحظ أنها كانت لدى رهبان التبت فلماذا لم تساعدكم على سحق الصينيين ؟ يبدو لى أنك كنت المختار الذى جاء ليرث هذه القلادة ، ولن يجد فيها هؤلاء اللصوص إلا قطعة صفيح .. »

قال فى ضيق :

- « أتمنى هذا .. لكن تذكر ما كتب عليها : ( مع البعض تصير الكلمات حقائق .. ومع البعض تصير الحقائق كلمات ) .. معنى هذا أن هناك من يمكن أن تؤدي عملها معه سوى .. »

فجأة نظر لى بذهول وقال :

- « ( رفعت ) .. إن ثيابك أنيقة .. هل هذه ذات الثياب التى جننا بها ؟ »

نظرت إلى سترتى فأصابنى الدهول .. قمائش فاخر .. ساعة ثمينة .. ربطة عنق أحتاج لعام كى أدخر ثمنها .. كأن جنية ( سندريلا ) لمستنى بالعصا السحرية .. مددت يدي أتحنس رأسى فشعرت بشيء غريب .. انتزعت تلك القلنسوة فوجدت أنها طرطور !

فجأة بدأت السماء تكفهر .. صار الجو أسود بالخارج ورأيت بعض رواد الكافتيريا يفتحون الباب ليلقوا على السماء نظرة أوضح ، متسائلين عن هذا التغير المفاجئ فى الجو الذى كان حاراً ..



نظر لى ( هن - تشو - كان ) متسائلاً ، فقلت فى هدوء :

- « إنها تعمل .. لقد استجابت لكلمات أحدهم .. يمكننى أن أتخيل ما يقال الآن .. أحد اللصوص فحص قطعة الصفيح هذه وأطلق سبة .. لا بد أنه قال: هذا الأراجوز الأصلع الذى سرقتاه كان يبدو ثرياً ! النتيجة تراها الآن .. صرت أبدو ثرياً فعلاً لكن على رأسى طرطوراً لأنى أراجوز ! لا بد أنه قال بعدها متذمراً : هذا يوم أسود من بدايته ! »

- هذا وضع يعد بأشياء مبهجة لا حصر لها .. نحن الآن تحت رحمة لسان لص .. ربما يتمنى لى أن أحترق حياً .. ربما يتمنى للمدينة أن تزول .. ربما .. ربما ..

كل شيء جائز .. كل شيء ممكن ..

قلت لـ ( عزت ) :

- « أقترح أن نذهب لقسم الشرطة حالاً محاولين مساعدتهم فى اعتقال هؤلاء الأربعة .. لا يوجد حل آخر .. إنها محاولة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ! »

تمت

- ٢٨ -

كان الأمر أقرب إلى الكابوس .. لقد انزلق ( عزت ) معدوم الحيلة إلى الشارع ، بينما راحت السيارة تضغط على الفرامل .. فقط لتنزلق أكثر .. واضح أن سائق السيارة لم يتعلم كيف ( يكارك ) على الأرضية المبتلة كما ينصح أى ميكانيكى يحترم نفسه ..

التقى الخطان لكنهما لم يلتقيا بالضبط .. وجد ( عزت ) نفسه على بعد متر من العجلة وتوقفت السيارة أخيراً .. انفتح الباب لتثب منه امرأة ..

- « هل أنت بخير ؟ »

هز رأسه أن نعم .. ما لم يقله هو أن السيارة مزقت جهازه العصبى ، وداست على ثباته ، وبترت رباطة جأشه .. كلها إصابات خطيرة فعلاً .. إن معنوياته تنزف بغزارة ..

ساعدته على النهوض .. لاحظ أنها بارعة الحسن خاصة وهو يحب ذلك الشعور العام بالبلل .. إن شعرها وأنفها يقطران الماء ..

قالت له وهى تفتح باب السيارة الأيمن :

- « سوف أوصلك إلى المستشفى لو أردت .. »

- « لا .. لا داعى .. »

كان عقله يعمل بسرعة .. هذه آخر ليلة يتمنى فيها أن يقابل فتاة



حسنة فقد أورثته تلك اللوحة شكوكاً لا بأس بها .. هكذا نهض بسرعة ولم يقل أية كلمة للفتاة وعاد إلى الجاليري ..

راح يبحث من جديد عن القاعة الصغيرة المتوارية التي دخلها منذ عشر دقائق ..

لم تكن هناك .. بدلاً من البارافان واللافتة وجد باباً موصداً عليه رمز بصرى يوحى بالأنثى .. حمام ! هذا ليس سوى حمام مغلق ..

لقد تلاشى معرض ( عفت الشرشابي ) تماماً كأنه كان هلوسة .. ربما كان كذلك .. الآن يعرف أنه مر بخبرة غير مسبوقه ..

عاد إلى القاعة الرئيسية فاتجه إلى الفتاة الجالسة أمام الدفتر وسألها :

- « كانت هنا قاعة مخصصة لأعمال الفنان ( عفت الشرشابي ) .. أين هي ؟ »

هزت رأسها وقالت :

- « لا أعرفه .. »

ثم تذكرت حيناً وقالت :

- « هناك من يحمل هذا الاسم لكنه مات .. »

- « مات ؟ »

- « قدم معرضاً هنا منذ عام ولم يلق أى استحسان ، لذا قتل نفسه .. »

ابتلع ( عزت ) ريقه .. لقد سمع عن أشباح كثيرة لكنه لم يسمع قط عن شبح معرض ..

لكن لهذا مغزى خطيراً .. هذا الشبح / الكيان الذي تحدث إليه يتكلم من عالم لا نعرف عنه أى شيء .. بعبارة أخرى هو دقيق وكلماته صادقة على الأرجح ..

لقد تحققت ثلاث لوحات فماذا عن الباقي ؟

كانت الفتاة تحك وجهها بطريقة غير مريحة .. بدت وكأنها تحاول أن تمزقه إلى نصفين .. لهذا شعر ( عزت ) بعدم راحة .. إلى أين يذهب ؟ هل هنا نجاته أم أن نجاته فى الخارج ؟

قرر أن يغادر المعرض .. مشى فى الشوارع الرطبة وكان المطر قد بدأ يقل ..

البخار يتصاعد من أنفاسه وهو يجد السير باحثاً عن سيارة أجرة .. فى النهاية وجد واحدة فألقى بنفسه فى المقعد الخلفى بعد ما تحقق من وجه السائق جيداً .. لا توجد حسناوات إذن كل شيء تمام ..

كان موشكاً على أن ينعس تماماً عندما سمع السائق يردد :

- « الناس لم يعد عندها ضمير . »

العبارة المأثورة لدى أى سائق تاكسى .. بعد هذا تبدأ قصة عن الراكب الذى لم يدفع أو شرطى المرور الذى كان يريد بقشيشاً أو ..



-٢٩-

رحت أدق باب ( عزت ) كالمجنون .. لكنه لم يرد ..

لا أعرف ما يدور ، لكنى قررت اللجوء إلى حل قلما ألجأ إليه ..  
لقد تبادلت مفتاح باب شقتى مع ( عزت ) منذ زمن ، لكننا أقسمنا  
على ألا نستعمله إلا عند الضرورة ..

هكذا أخرجت المفتاح وأولجته فى القفل ودخلت .. هذه المرة  
أغلقتة ورائى ..

كانت الشقة هادئة صامتة .. الأضواء مفتوحة وهذا طبيعى بعد ما  
أصابه من رعب ، لكنى اندفعت نحو غرفة نومه لأرى ما هنالك ..

لكنى وجدت مشهداً مريعاً ..

كنت عند الباب فرأيت التمثالين واقفين وظهرهما لى .. تمثال  
مصاص الدماء والفتاة .. أما ( عزت ) فكان أمامهما جاثياً على  
ركبتيه .. وسمعته يقول :

— « سيدى ( يوليان ) .. لقد أنهيت مهمتى وعدتم للعالم ..  
اعتذر عما أصابنى من ذعر عندما تحرك سيدى ( ياتوت ) .. الآن  
عرفت أن الموعد قد جاء .. إنه الآن فى شقة جارى يبدأ مهمته .. »  
فهمت !

إن من يصنع هذا التمثال العجيب لابد أن يثير الشكوك .. الأمر  
يوحى بالاستحواذ .. كان على أن أفكر فى الأمر .. فى البدء لم يكن

عاد السائق يقول :

— « الناس لم يعد عندها ضمير .. هل تصدق ذلك يا أستاذ ؟ »

— « بالتأكيد .. »

— « مثلاً هناك من يعلق لوحات تحمل نبوءة ما لكنه لا يعلقها  
بالترتيب الصحيح .. أحياناً يخفى لوحة أو اثنتين لغرض خبيث فى  
نفسه .. ! »

هنا هب ( عزت ) وقد تلاشى أى نعاس من عينيه بينما السائق  
يقول :

— « مثلاً .. هناك لوحة شنيعة تظهر ما يحدث للرجل الأسمر  
التحيل عندما يركب سيارة التاكسى ! لماذا لم يعلقوها فى المعرض ؟  
لأنه لم يعد هناك ضمير لدى الناس !! »

كان هذا مطباً وعرًا ، لذا أبطأت السيارة قليلاً ..

وعلى الفور فتح ( عزت ) الباب وتدحرج على الأرض المبتلة عدة  
مرات ..

نهض من دون أن يتسائل عن إصاباته وراح يركض هارباً ..  
اعتقد أنه ما زال يركض حتى هذه اللحظة ..

تمت



يعرف ما يقوم به .. حتى إنه طلب عونى .. ثم أدرك الحقيقة وعرف أنه خادم هؤلاء ..

لكن من هم هؤلاء ؟ .

أسمع صوت الدقات على باب الشقة ..

الأخ الذى كان فى شفتى قد عاد خالى الوفاض ..

هكذا تواريت فى المطبخ .. بينما سمعت ( عزت ) يفتح الباب .. وسمعته يقول :

« هل فرغت يا سيدى ( يانوت ) ؟ إنهم بانتظارك من أجل الرحيل .. »

ثم سمعت صوت الخطوات الثقيلة .. يبدو أنهم متجهون إلى الباب ..

الأمر غريب ومعقد .. لو كنت مكانهم لصرت تمثالاً بالفعل وتسللت ليلاً من المعرض لأمتص دماء الحراس .. أما أن يجولوا فى الشوارع بهذا الشكل فأمر غريب ..

إن الأسماء ذات طابع روماني لا شك فيه .. ( يانوت ) ( يوليان ) .. وهذا يشير لشيء ما ..

اتجهت إلى الثلجة وفتحتها ..

إن الاستحواذ يتم عن طريق شيء يحتفظ به الشخص المُستلب .. هذه قاعدة .. على الأرجح يكون الشيء نسيجاً عضوياً يحتاج إلى مكان بارد كي لا يتلف ..

رحت أفنش وسط الرفوف .. هذه هى المرة الثانية فى حياتى التى أفنش فيها ثلاجة ( عزت ) وفى المرتين وجدت ما أثار رعبى ..

بالفعل وجدت قطعة خيش مبتلة ملتفة حول شيء ..

فتحت لفافات الخيش فى حذر فوجدت .. تلك اليد الآدمية المبتورة طويلة الأظفار ..

فى العادة يكون الموجود فى الثلجة رأساً بشرياً وأحمد الله على أن هذا ليس الحال هنا ..

حملت قطعة الخيش فى اشمزاز وغادرت المطبخ وأنا أسمع تلك الجلبة على باب الشقة .. نظرتى هى أن هؤلاء بأسمائهم الرومانية جاءوا من جانب النجوم .. كانوا بحاجة إلى ثغرة لذا سيطروا على ( عزت ) وجعلوه يصنع هذا التمثال الغريب .. هذا التمثال صار هو الثغرة التى عبروا من خلالها لنا ..

اعتقد أنهم سيتحررون من الصلصال حالاً ليعودوا مصاصى دماء ( عاديين ) لو كان شيء كهذا ممكناً ..

كنت أبحث وسط المخزن الذى وضعه ( عزت ) فى غرفة جوار غرفة نومه .. مخزن أقرب إلى ورشة كاملة فيها كل شيء .. كنت أعرف أن لديه حمض كبريتيك .. ماء النار كما اشتهر اسمه .. وهو يستخدمه كثيراً فى تعامله مع المعادن ..

وجدت القارورة العملاقة ففتحتها فى حذر .. كان عنقها متسفاً يسمح لقبضتى أن تدخل .. لكنى لم أضع قبضتى .. لقد ألقيت لفافة الخيش بالداخل ثم سدّدت الفوهة ..



راح الحمض يفور سعيداً بوجبهته الجديدة التى راح يحولها إلى كربون نازعاً منها كل ذرة هيدروجين أو أكسجين ..

أكاد أقسم أن اليد كانت تتلوى ألماً .. لست متأكداً لذا قلت ( أكاد ) ..

فى النهاية هدأ الفوران .. ورأيت العظام تتفاعل ببطء مع الحمض الكريه ..

نهضت فى حذر متجهاً إلى باب الشقة .. هناك وجدت ( عزت ) راكعاً على ركبتيه وهو يمسك برأسه .. وكان يهتز بلا توقف كأن به مسأ ..

دنوت منه أكثر فعرفت .. إنه تحرر .. هذا تعبير دميمة الماريونيت التى انقطع خيطها .. إنه لا يعرف أين هو ولا من هو ولا ماذا حدث ؟

وضعت يدي على كتفه .. أعتقد أنه لا خطر عليه بعد ما وجدت أداة الاستحواذ وأحرقتها .. لكن من أين جاء بها ؟ من وضعها عنده ؟

سيحتاج إلى وقت طويل قبل أن يشرح لى هذا كله ..

وقفت على باب الشقة أرمق المدخل فى الضوء الشاحب ..

إن على الكثير من أعمال النظافة قبل أن يصحو الجيران ..

كل كتل الصلصال المفتتة هذه والملقاة على رخام المدخل يجب أن تختفى ، قبل أن يسألنا الجيران أسئلة مريبة .. أسئلة لا نملك إجابة عنها ..

تمت

- ٣٠ -

لم أقتنع بحرف مما قاله لى ( عزت ) ، وكأنت تجربتى عملية جداً .. لقد نزلت معه إلى الشارع ورحنا نمر جوار القلط حول صناديق القمامة .. سألته عما تفكر فيه فراح ينظر لى فى حيرة ..

كان هناك حمار يقف جوار الرصيف مربوطاً لعربة جر ، فسألت ( عزت ) عن رأيه .. قال فى تردد :

- « أعتقد أنه متضايق من حياة العبودية تلك . »

قلت فى بسمة انتصار :

- « هل رأيت ؟ كلنا نملك تطباعات معينة عن أفكار الحيوان .. وأنت تطبق ما فى عقلك الباطن .. لا احد يقبل ألا يكون الطاووس مغروراً والحمار متضايقاً من عبوديته .. أرجو أن تنسى هذا الهراء .. »

- « وماذا عن تلك التعويذة التى حصل عليها ( أنيس ) رحمه الله ؟ »

- « أعتقد أنه لا يعرف كنهها .. إنها مجرد قطعة أثرية ثمينة لا بد أنه ابتاعها فى الخارج .. ولو كنت مكانك لأعدتها لوريثه لأنها قد تساوى أكثر من كل العقارات التى يفتش عنها .. »

- « معك حق .. »

فجأة همس لى فى توتر :

- « أسرع الخطوات لكن لا تركض .. »

- « لماذا ؟ »



- « فقط ثقي بي .. »

هنا بدأت اسمع نباح هذين الكلبين العملاقين .. ذلك النباح الخفيض الموحى بالانقضااض .. وقاومت بصعوبة بالغة أن أركض وأنا أشعر بأن الوحشين موشكان على الانقضااض على من الخلف ..

فما أن ابتعدنا حتى قال ( عزت ) وهو يتنفس الصعداء :

- « سمعت الفكرة : سوف نعضهما .. سوف نعضهما ! لا تقل

إني رأيتهما فلنقت الفكرة .. »

الحقيقة أن كلامه كان منطقيًا .. لكن هذا يعني أنه صار يملك قوة خارقة بالفعل .. إن زيارته لحديقة الحيوان يمكن أن تملأ عدة كتب ..

على كل حال افترقنا وإن نصحته بسرعة التخلص من هذه التعويذة ..

★ ★ ★

في شقة ( مصطفى ) جلس ( عزت ) فترة يتأمل المكان بانتظار قدوم هذا الأخير ..

كانت الشقة فاخرة فعلاً .. كل شيء يوحى بالثراء لكنه ثراء لا يقصد به الاستمتاع لكن يقصد به إبهار القادمين .. أنا أكثر منكم مالاً وأعز نفراً .. أنا أكثر منكم مالاً وأعز نفراً ..

قارن في ذهنه بين هذا الثراء الاستعراضى والثراء الآخر لوالد ( مصطفى ) الذى لم يرد إلا الاستمتاع شبه الطفولى .. شتان بين الرجلين ..

- « سوف أتخلص من ذلك الوغد ! »

دوى الصوت عاليًا فى ذهنه ..

ما معنى هذا ؟ .

- « هذا الصعلوك لا يستحق إلا الموت .. وأنا قادرة على ذلك متى أردت »

من جديد دوى الصوت المخيف الشبيه بالفحيح ..

جاء ( مصطفى ) هتًا باثنا .. وجلس وهو يعتذر عن حالة الفوضى العالمة ( التى لم يرها عزت ) لأنه مطلق حديثًا .. لا توجد امرأة هنا ..

- « فقط لو يغفو لحظة ! »

هنا تصلب ( عزت ) .. إنه يعرف قدرته الأخيرة على قراءة أفكار الحيوانات .. هناك حيوان هنا .. حيوان يريد الفتك بضحيته .. لكن ما معنى هذا ؟

- « هلم انصرف يا ثقيل الظل .. كيف يسمح إنسان له هذا العود النحيل والملاح الغريبة لنفسه بأن يبقى حيًا ؟ »

هذا الكلام موجه له بالذات ! قل ( عزت ) وهو موشك على الجنون :

- « فقط أردت أن أخبرك بأمر لوح من الكتابة المسمارية وجدته عند الفقيد .. وهو .. »

- « مسمارية ؟ »



- « نعم .. كتابة السومريين والبابليين و ... »

- « سومريين ؟ »

ثم راح ( مصطفى ) يضحك عدة دقائق .. أخيراً استطاع أن يتنفس فقال :

- « قلت لك أن تعفيني من هذا الهراء .. إذا وجدت سندات أو وصايا أو أوراقاً مالية فمن واجبك أن تخبرني .. فيما عدا هذا أنت حر .. ثقب أننى آخر واحد على ظهر البسيطة يمكن أن يهتم بفن أبى .. »

كان واضحاً صريحاً فجاً .. وأدرك ( عزت ) أن عقاب الرجل الوحيد هو أن يكون اللوح ثميناً فعلاً .. لقد فعل ما بوسعه .. لهذا طلب الإذن بالانصراف ..

- « ليتك تسقط ميتاً الآن .. »

دوى الصوت فى أذنه ..

كان ( عزت ) الآن قد كون نظرية لا بأس بها .. هناك ثعبان فى الشقة .. لا يعرف كيف دخل ولا متى، لكنه على الأرجح ينتظر لحظة أن يخلد ( مصطفى ) للنوم كي يلدغه .. هذا هو تفسير تلك الخواطر ..

ينذره؟ بالطبع لا .. لن يصدقه ولسوف يسخر منه .. دعك من أن هذا الاحتمال يبدو سخيفاً فعلاً ..

هكذا انصرف ( عزت ) وهو يلعن أبا الجشع والفظاظة ..

★ ★ ★

عندما قرأنا بعد يومين أن جثة ( مصطفى ) المطعونة وجدت فى الشقة الفاخرة وحدها ، وأن رجال الشرطة عرفوا أن امرأة شوهدت تغادر الشقة فى ساعة متأخرة ، قال ( عزت ) غير مصدق :

- « قال لى إنه لا يوجد أحد معه .. »

قلت وأنا أطوى الجريدة :

- « لقد كذب .. كانت هناك امرأة وقد قتلته بغرض السرقة .. »

- « سمعت خواطر غريبة صادرة عن تفكير أفعى .. هل هو هذيان ؟ »

قلت وأنا أتثاءب وأضع اللوح على حجرى :

- « بالعكس .. لقد أثبتت التعويذة براعتها ودقتها .. هى لا تقرا إلا تفكير الحيوانات ، وقد كان هناك حيوانان فى تلك الشقة ليلتها .. ( مصطفى ) والمرأة التى قتلته .. بالضبط هما حيوانان .. وكنت أنت تسمع خليطاً من أفكار الاثنين ، لأن التعويذة دقيقة فى قراراتها .. لقد صدقت الكلمات .. لكن يبدو أن هذا اللوح لا يعمل فى كل الأحوال .. »

قال باسمًا :

- « لو كان يعمل طيلة الوقت لجننت .. تصور كم الأفكار التى كنت سأسمعها من الذباب والصراصير فى المطبخ .. بالمناسبة الذباب كثير جداً الليلة .. هش .. هش ! »

وارتطمت يده باللوح الصلصالى الذى أضعه على حجرى ..

كراش ش ش ش !

تمت



- ٣١ -

وصلت إلى الشقة في وقت قصير نسبياً ، فانا أسكن قريباً من هذا العنوان .. وكانت لدى خطة طموح هي أن نترك فنان الأعمال المركبة الفقيده حيث هو ، ونمضى الليل عندي وفي الصباح نتخذ ما نجده ضرورياً من إجراءات ..

فتح ( عزت ) الباب لي وكان تأثير ما يحدث واضحاً على وجهه .. كان الأستاذ ( انيس ) جالساً تحت شجرة من أشجار الغابة ، وهناك قرد صغير من البلاستيك يتدلى على كتفه .. مشهد غريب فعلاً .. دخل في شقة وقرد وجثة جالسة ..

ركعت جواره وقمت بالفحص اللازم .. الحدقتان .. النبض .. ضغط الدم .. مرآة تحت الأنف لقياس بخار الماء .. بالفعل هو متوف .. لا شك في هذا ..

كان ( عزت ) الآن على حافة الهستيريا .. وقال :

- « هذا هو ثالث موضع يتخذه ! »

قلت في ضيق :

- « لن يكون هناك وضع رابع لأننا سنعود لداري الآن .. »

- « إذن على الأقل نعيده إلى الفراش .. » :

- « لك هذا .. »

وحملنا الجثة الخفيفة إلى ذلك الفراش المضحك الشبيه بخيمة أفريقية .. وخرجت نافذ الصبر إلى الردهة أبغى الرحيل ، لكن ( عزت ) طلب أن أمهله لحظة :

- « لا أفكر إن كنت أعدت لنفسى كوب شاي أم لا .. لا أريد المجزفة باحتراق الشقة .. »

وقفت أنتظره في ملل بالخارج حتى يفرغ من معاينة المطبخ الذي لا أعرف أين هو .. أتأمل ذلك العمل المركب القبيح .. مددت يدي أنتزع واحدة من تلك الأوراق الملصقة على الجدار فوق المرحاض ، ثم ورقة أخرى ..

هنا سمعت صوتاً يتحنح منذراً من خلفي ..

استدرت بسرعة فلم أر أحداً ..

- « ( عزت ) .. هل هذا أنت ؟ »

لكن ( عزت ) كان في المطبخ الذي لا يعلم إلا الله أين هو ..

من جديد سمعت ذلك الصوت من وراء الأشجار الصناعية .. وفجأة لمحت شيئاً يتحرك ..

أجفلت وتركت موضعي لأقترب أكثر .. هناك شخص يمشى هناك وهو ليس ( عزت ) .. من المجنون الذي صمم هذا الديكور ؟ بالفعل أشعر بأنني في دغل حقيقي .. يصعب أن تتبين ما يدور هناك ..

فجأة تغيب الأضواء الواحد تلو الآخر ..



إنه الظلام ينتشر خطوة بخطوة وأنا بعد وسط هذه الأشجار ..

صحت أنادى ( عزت ) فجاء صوته من بعيد :

- « ( رفعت ) ! ماذا يحدث هنا ؟ »

مجموعة من الأشباح تحيط بى وأحدها يرفع سيفه ليهوى على عنقى .. صرخت وتدحرجت على الأرض ، بينما اعتادت عيناي الظلام فعرفت أنني فى القطاع الشرقى .. هذه تماثيل جوار وهذا ( مسرور ) السيف .. تماثله فقط ..

أنزلق لأسفل فوق منحدر .. فقط لأشعر بالبلبل .. هل كان هناك قطاع مائى فى هذه الشقة ؟ أم أنه شلال فى قطاع الغابة ؟

أنا الآن راقد وسط الحفر التى تمثل أرض القمر .. الفوهات البركانية .. النجوم قد تلاشت تماماً مع الظلام ، لكنى أرى ذلك النيزك الفوسفورى الذى يخترق الفضاء .. أعرف أنه مجرد نموذج لكنى أشعر بأنه يتحرك .. ..

أشباح تحيط بى .. من جديد هى تصوب نحو رأسى المسدسات فأدرك أنني على الأرجح فى قطاع قصص رعاة البقر .. قصة ( مايكل كرشتون ) عن عالم الغرب تتكرر حرفياً هنا ..

وأرفع رأسى فأرى ذلك الشيء الأقرب إلى إنسان يترنح يشق طريقه فى الظلام .. خطوته مرتبكة باحثة كأنه ينقب عن شيء ما ..

نهضت بصعوبة ورحت أتعثر وسط العشب الصناعى ..

أمد يدي فإذا بى أصطدم بجسد بشرى ..

تراجعت مذعوراً ثم تذكرت هذا الملمس .. إنه ( عزت ) ولا أحد سواه ..

هتف فى الظلام :

- « ماذا يحدث ؟ »

قلت لاهثاً :

- « أعتقد أنه عمل فنى مركب آخر .. يبدو أنه أراد أن يقدم عرضاً يصعب نسيانه فى ليلة مصرعه .. »

ثم أضفت :

- « هل تعرف كيف نصل لباب الشقة ؟ أنت تعرف المكان .. »

- « أعتقد هذا .. »

ورحنا نشق طريقنا لاهئين محاذرين الاصطدام بلأف تمثل وألف عقبة .. إنه كمين حقيقى . فقط لم نصدق أننا خرجنا إلا عندما حدث ذلك فعلاً ..

وقفنا فى الردهة نستجمع أنفاسنا .. الظلام فى تلك الشقة تجربة مروعة حقاً .. سوف نستقل المصعد ونفر .. وفى الصباح نحاول فهم ما يدور ..

كان المصعد فى الطابق السفلى فيبدو أن هناك من نزل قبلنا .. انتظرنا عودته ثم ركبنا صامتين ..

فقط فى الطابق الثانى قال ( عزت ) :



- « كل هذا غير طبيعي .. إنه شيطاني .. »

قلت لاهتأ :

- « لا أعتقد .. الأمر يتعلق بدعابة عملية أخيرة أعدها لنا صديقك الموهوب هذا .. لا أعرف ما فعله لكنه استطاع أن يفزعنا بحق .. »

وخرجنا إلى الشارع المظلم نحو سيارتي ..

دنوت منها حتى صرت على مسافة عشرة أمتار ثم توقفت ..

قلت لـ ( عزت ) همساً وأنا أعتصر ساعده :

- « لن نستطيع ركوبها . »

- « لماذا ؟ »

- « إن صاحبك هذا لا يمزح .. لم أر شخصاً أكثر منه جدية ! »

كنت أرى المقعد الأمامي لسيارتي .. وأرى سلويت الجالس هناك .. ذلك الوجه التحيل لشيخ ضامر في السبعين ، كث الحاجبين له لحية من الطراز الذي يحبه الفنانون ..

كان ينتظرنا ..

وفي خفة انطلقنا في الطريق الصامت المظلم مبتعدين .. سوف نجد تفسيرات منطقية فيما بعد لهذا كله ، وأسترد سيارتي في الصباح .. لكن ليس الآن .. ليس الآن بالله عليك .

تمت

- ٣٢ -

شعرت بالخجل من نفسي .. أملاً الدنيا صراخاً بالتشدد بمنطقي العلمي ، ثم أترجع على الفور عند أول اختبار .. الرجل الذي لا يكف عن القول إن الثعابين في منطقتهم غير سامة ، ثم يثب في الهواء مترين عندما يرى أول ثعبان ..

هكذا هزرت رأسي وطلبت من ( ماجي ) أن تعيرني الكشاف الذي تحمله في حقيبتها ..

توغلت في الغابة وأنا متوتر بحق .. ضوء الكشاف يلقي ظلالاً لعينة على كل شيء .. لكنني أعرف أنه في اللحظة التي أعرف هذه القاعدة سوف يكون الخطر حقيقياً ..

الجسم الوحيد الذي لن يلقي ظلال شبح خادعة هو الشبح ذاته !

أشجار في كل مكان .. يسهل فعلاً أن يضل المرء طريقه هنا خاصة في الظلام .. هكذا أخرجت مفتاحي ورحت أحك علامات واضحة على طبقة الطحلب التي تكسو الأشجار التي أمر بها .. علامات على شكل أسهم تحدد الاتجاه ..

عندما توغلت بما يكفي رحلت أنادي ( دانييل ) بأعلى صوتي ..

كنت أشعر بالعبث وبعدم جدوى ما أقوم به ، لكنني فجأة سمعت صوت البكاء .. لم أصدق أذني وجريت نحو مصدر الصوت لأجد ذلك الطفل المنثني على نفسه تحت شجرة وهو يبكي بكاء يمزق نياط القلوب ..



رأى فراح يضربنى بقبضتيه لكنى رحى أهدئ من روعه .. شكلى  
قد يكون مفرعاً بالنسبة للأطفال لكن هذا لن يجعلنى أتركه ..

تقريباً حملته حملأ فى طريق العودة ، ولم أصدق عينى عندما  
وجدت ( ماجى ) وأمه حيث هما .. هكذا ألقىته على الأرض إلقاء ،  
فركض نحو أمه وسرعان ما غابا فى عناق طويل باك ..

سألت السيدة :

- « هل ترغبين فى أن نوصلك ؟ »

قالت وهى ترتجف :

- « بل أوصلكما أنا .. إن سيارتى قريبة .. »

بدا لنا العرض مغرباً فى هذا الليل البارد وبعد كل هذه الانفعالات ..  
هكذا مشينا معها حيث كانت سيارة صغيرة تقف تحت الأشجار ..  
وتزاحمنا فى السيارة كيفما اتفق ..

نزلنا قرب القلعة المخيفة حيث تعيش ( ماجى ) .. سيكون على أن  
أمشى حتى أبلغ الفندق الذى أقيم فيه فى البلدة . ودعنا المرأة  
والطفل .. لا .. لم نودع الطفل لأنه نام منذ ربع ساعة ..

قالت ( ماجى ) :

- « على الأقل كانت نهاية الأمسية هادئة مثمرة .. »

هزرت رأسى أن نعم ..

ودعتها ورحى أشق طريقى قاصداً البلدة والفندق فالفرش والنوم ..  
لكنى إذ بلغت نهاية الطريق سمعت صرخة .. سوف أصاب بالهلع لو مرت  
دقيقة هذه الليلة من دون سماع صرخة ..

عدت أركض عارفاً أن هناك مصدراً واحداً لهذه الصرخة ..

كانت ( ماجى ) واقفة هناك عند بداية الطريق الذى يؤدى إلى قلعتها ..

رأيتى قادماً فهتفت :

- « ( رفعت ) .. شعرت بشخص أو شىء يطاربنى .. وعندما صرخت

توارى وراء هذه الأشجار .. »

لم أدر ما أقول أو ما أفعل .. التقتت حجراً كبيراً فوضعتة فى  
يدها ، وتناولت حجراً مماثلاً حملته وهمست لها :

- « اهدنى .. لقد وترتتا تلك المدام .. لو أن قطاً ماء لوثبنا مترين  
فى الهواء .. سوف تنتظرين هنا وسوف أبحث عن هذا المتسلل .. »

- « ولماذا لا أكون معك ؟ »

- « لأن هناك أكثر من طريقة لمغادرة الأشجار .. يجب أن تراقبى

هذه الجهة .. »

كان قلبى يتواشج فى صدرى لكنه كان سليماً فى تلك الأيام ..  
وتركتها هناك وتوغلت قليلاً وراء حزام الأشجار .. إن يقينى شبه  
تام بأننى لن أجد شيئاً ..



بعد دقائق من البحث عرفت أنني مخطئ ..

لقد كان ذلك الكلب الأعرج ينظر لى فى إشفاق وهو يحاول أن يتوارى .. ثلاث أقدام .. لا بد أن عربة هسنت الرابعة .. وضعك مؤسف يا صاحبي لكنى لن أستطيع مساعدتك ما لم تتوقف عن الركض .

رحت أحاول الإمساك بالوغد لكنه كان سريع الحركة فعلاً .. هكذا توارى وراء شجرة فهرعت لألحق به ..

طاخ !

تلقيت الضربة العتية على جانب رأسى فشعرت بأن شريقاً انفجر هناك !

تماسكت ونظرت إلى مهاجمى فوجدتها ( ماجى ) .. لقد ضربتني بقطعة الحجر عندما رأنتى أبرز من وراء الشجرة التى تقف جوارها ..

سقطت على الأرض والدم يبيلل جانب عنقى وسترتى .. شعور بالغثيان يمزق أحشائى .. دوار .. صداع ..

هتفت فى جزع :

- « أنا آسفة ! كدت أفتك بك ! »

قلت وأنا أغطى رأسى بيدي :

- « كدت فعلاً .. ألم أقل لك إن التوتر سوف يقتلنا ؟ هذه المرأة

قد .. قد .. »

قالت وهى تجفف الدم بمنديلها :

- « يجب أن نذهب إلى المستشفى حالاً .. »

هزرت رأسى موافقاً وأضفت وأنا أنهض بصعوبة :

- « لا أدري هل أدخلتنا المرأة فى دائرة التوتر فتصرفنا بحمق ، أم أنها كانت دقيقة فى نبوءتها ؟ أهدنا ما كان ليرى النهار .. والسبب امرأة لم تر العرافة وجهها بوضوح .. ألم يخطر لك صغيرتى أنك هذه المرأة ؟ »

والتقت عينانا فى حيرة على ضوء القمر الأزرق .. ..

تلك أشياء لن نعرف إجابتها أبداً ..

تمت



- ٣٣ -

« عندما تغرب الشمس وتلطخ دماؤها ثوب المساء الأزرق ،  
عندئذ يبدأ فجر النافاراي »

★ ★ ★

لفترة تظاهروا بأنهم لا يسمعون ، لكن الطرقات ازدادت قوة .. ثم  
سمعوا طرقات من أعلى الكوخ .. هناك من يقف على السقف ..

أدرك العجوز أن ما جذب هؤلاء هو النار التي أشعلوها ، وأدرك  
( هن تشو كان ) أن هؤلاء قد أيقظوا بعضهم البعض .. إنهم الآن  
بحاجة إلى وجبة طازجة من الدم ..

الطرقات تتزايد ..

مسئوليتك أن تحمي هؤلاء الأبرياء من خطر بدائه أنت بعد ما كبه  
ذلك الكاهن التاوى ..

تسمع صخبًا بالخارج .. هناك من يحدث أصواتًا لا تميزها بسبب  
العاصفة ..

تقول للمرأة وأنت تشير إلى السماور :

- « هذا أرز أليس كذلك ؟ سوف نفتح الباب ثم نغمرهم به .. »

- « هل تضمن النتائج ؟ »

- « ليس لنا الخيار .. هذا الكوخ سيتداعى سريعًا .. أنا كنت فى  
الغابة ورأيت مبلغ قوتهم .. »

نظر لك العجوز بعينين ناريتين وهمس :

- « أنت من انتزع أوراق الفو إذن ؟ »

لم ترد .. فقط حملت الإباء بين يديك واتجهت إلى الباب .. ثم  
صحت فى المرأة أن تفتح لك ..

جاءت نحوك مسرعة .. هنا لاحظت شيئًا غريبًا ..

إنها لا تمشى بل تحجل على ساق واحدة .. برغم هذا هى سريعة  
جدًا ..

نظرت فى ذعر إلى العجوز والطفل .. رأيتهما يثبان بذات الطريقة  
نحوك .. وفى العيون بدت نظرة شيطانية مألوفة .. أنت تذكرها لأنك  
رأيتها فى الغابة منذ ساعة ..

صحت فى دهشة :

- « لكن .. لا تبدو مثل .. »

قال العجوز ضاحكًا :

- « لقد تعلمنا كيف نبدو مثلكم .. هى هى ! نتكلم ونشعل النار  
ونشرب الشاي .. لسنا كتلك المسوخ الشيطانية التى رأيتها فى  
الغاب .. لهذا لم يعرنا كاهن التاوا اهتمامًا ، ولو كان أكثر حيلة  
لتساءل لماذا ظللنا أحياء من بين القرية كلها !؟ »

- « والأرز ؟ »



قالت المرأة وهي تفتح فمها كاشفة عن نابين عملاقين :

« أنت ذقته .. هل شعرت لحظة أن هذا مذاق أرز ؟ »

ويقول العجوز وهو يحاصرک ليصير ظهرک للباب :

« لقد صعدنا كثيراً لكننا جياع والبرد قارس وأنت جنت بكامل إرادتك .. نحن بحاجة إلى الدم .. دم ساخن طازج ! »

الآن حانت اللحظة ..

ركلت الإناء ليطير في وجوههم ، ثم وثبت في الهواء لتهبط فوق المنضدة المتداعية .. لا أحد يقدر على إمساك كاهن نافراى بكامل وعيه .. لا أحد ..

إنهم عائدون لك ..

تثب في الهواء من جديد ..

هنا انفتح باب الكوخ ..

اقتحم المكان رجل غريب الثياب له لحية عجيبة وفي يده عصا غليظة ، وفي اليد الأخرى إناء به شيء ما .. ومن خلف الرجل برزت مجموعة من الفلاحين أقوياء البنية مدججين بعصى غليظة ..

طوح الرجل بمحتوى الإناء في وجوه المسوخ فالتصق الأرز اللزج نصف المطبوخ بهم .. سقطوا على الأرض وهم يصرخون ..

أخرج قصاصات من الورق الأصفر من جيبه وراح يثبت قصاصات على جبين كل منهم ..

قلت له وقد بدأت تفهم :

« أنت كاهن ( القاو ) ! »

« عدت للغابة لأرى ما حل بتلك المسوخ فلم أجدها .. عرفت أن هناك من انتزع الأوراق .. فى القرية المجاورة أخبرتهم بأن هناك ثلاثة ناجين فى هذه القرية ، فنفوا ذلك .. لقد هلكت القرية كلها عندما هاجمها الشياح شى .. هكذا خمنت أن هؤلاء الذين رأيتهم شياح شى امتلكوا القدرة على تغيير شكلهم .. جنت بالرجال معى لنهى أمر هؤلاء »

إن كان هؤلاء هم من يدق الباب .. كنت أنت محبوساً مع الشياح شى وتحسبهم بالخارج !

الكاهن يصيح فى الفلاحين كى يحرقوا الكوخ ..

الزهرة المقدسة تنتشر وتتفتح فى كل ركن ..

ثم إنه يغادر المكان وهو يضرب الأرض بعصاه الغليظة .. يقف فى الخارج يرقب النيران تتعالى ويتأكد من دقة التطهير ..

لا أحد يقدر على قتل الشياح شى لكن يمكنك أن تدفنهم تحت الجليد الذائب .. سرعان ما يتجمد هذا من جديد من ثم يبقون حيث هم ..

تقدم نحو الكوخ وتصيح حسب التقاليد المقدسة :



- « سوان هاتشاه سارايان ! »

لقد أنذرتكم بأننى سأستعمل ( الساراياتانا ) ..

قال لك الكاهن وقد سمع ما قلت :

- « أنت نافاراي أيها الشاب .. أليس كذلك ؟ »

- « بلى .. »

- « عرفت هذا من ضفيرتك والقرط فى أذنك اليسرى .. عد لآباتك

المقدسين فى الدير وعلمهم الإسراع فى دفن الموتى .. لا تدع القط  
يخط فوق رأس الميت أبداً .. »

ثم أشار الكاهن للفلاحين فلحقوا به .. يتقدم فى الظلام وهو يضرب  
الأرض الجليدية بالعصا ، بينما يمشى الفلاحون المتهيبون صفًا من  
خلفه .. وبعد قليل يذوبون فى الظلام .. لم يسألك أن تلحق بهم لأنه  
يعرف أن النافاراي يعرف كيف يعنى بنفسه ..

تقف أنت وحدك ترمق النيران ..

إن لديك درسًا مهمًا لتلاميذك فى الدير عندما تعود .. سوف تحدثهم عن  
الشياخ شى وعن ضرورة ألا يمشى القط فوق رأس الميت ..

والدرس الأهم هو : عندما تجد شخصًا عاجزًا عن الحركة فى  
الغابة ، فلا تنتزع الأوراق الصفرة الملتصقة بجبينه أبدًا !

تمت

- ٣٤ -

تكرر ظهور ( إيرين ) عدة أيام ..

للدقة .. تكرر ظهورها عدة ليال .. كنت أدخل غرفة نومى فأجدها  
جالسة إلى مقعد مريح ، وهى تنظر لى تلك النظرة الوداعة ثم تتكلم  
عن كل شىء .. عن القطط والطقس وفطائر الخوخ ..

كنت أجن وأنا أحاول أن أعرف من هى بالضبط وكيف دخلت  
هنا ..

أنت تفكر فى الأشباح .. فى الهلوس .. فى الهستيريا الأنثوية  
المعتادة ، لكنى أقول لك بوضوح إن الأمر ليس كذلك ..

هذا مخلوق من لحم ودم يجلس أمامى .. مخلوق له ظل ويشغل  
حيزًا من الفراغ ..

كانت صورة المقبرة المنبوذة لا تفارق مخيلتى .. وكان ذعرى  
يتزايد ..

ما رأيك يا ( رفعت ) ؟

بإخلاص : ماجى ماكيلوب

★ ★ ★



عزیزتی :

لا أعرف ما ينبغي أن يقال .. هناك قضيتان متناقضتان لكن كل شيء في كلامك يدل على حدوثهما معاً ..

القضية الأولى هي أن ( إيرين ) غادرت قبرها لتزورك ..

القضية الثانية هي أن هذا مستحيل .. لأن الموتى لا يغادرون القبور إلا يوم القيامة .. دعك من أن مشاهداتنا العلمية تؤكد هذا ..

قضيتان متشابتتان معقدتان ..

لقد وضع المؤلف نفسه في ورطة ، وطريقة ( كان كل هذا حلمًا ) تستجلب عليه غضبة القراء ولعناتهم .. كما لا أعتقد أنه ينوي أن يجعل ( إيرين ) عائدة من القبر لمجرد أنه يحترمك ويثق بذكائك .. أعتقد أنه سيفضل الحل الوحيد الممكن وهو أنك تهذين أو أنك أصبت بالخبال أخيراً ..

تخيلي معي امرأة شابة تعيش وحدها كل هذه السنين في قلعة أثرية مخيفة ، لأنها آخر ورثة أسرة ( ماكيلوب ) العريقة .. قلعة فيها ما فيها من أشباح .. لا بد من أن تأتي مرحلة من التصورات .. من الهستيريا .. من رؤية ما لا وجود له ..

القصة تبدو منطقية يا عزيزتي ولا أعتقد أن المؤلف سيختار حلاً آخر فلا خيار أمامه ..

لا تغضبني وتذكري أن المؤلف هو المسنول الأول والأخير ..

أنا لم اختر اتهامك بالخبال .. هو فعل هذا .. ..

حافظي على نفسك وتذكري أنني أحبك كثيراً مهما رأيت من أشباح وموتى عاتدين وحتى جيش الإسكندر الأكبر نفسه .

بإخلاص : رفعت إسماعيل

تمت



-٣٥-

بصراحة كنت أرغب في كتابة نهاية قوية محطمة يبقى مذاقها في فمك أطول فترة ممكنة ، لكن هذه آخر قصة في الكتيب كله ( من حيث الكتابة لا الطباعة ) ، والمطبعة تنتظر النص وإلا فالويل لى ..

لن يصدر هذا الكتيب في معرض الكتاب كما هو مفترض إذا ظلت بضعة أيام أنتظر ذلك الإلهام السامى ، وأن تتفضل هذه النهاية المراوغة فتهبط على ..

لهذا أطلب منكم أن تسامحونى ..

أنتم جنتم هنا من أجل نهاية مملّة ، ويبدو أن هذه نهاية تحقق ذلك الغرض تمامًا .. وحتى لو لم تكن مملّة فهي سخيّة ومخيبة للآمال بما يكفى لتحقيق أحلامك ..

تمت

-٣٦-

هكذا رحّت أركض عبر ممرات القصر .. تسلحت بشمعدان ثقيل وجدته على المائدة ، ثم اتجهت إلى الغرفة التى اتخذتها لها ..

يبدو أن ( أندرو ) كان محقاً .. ولربما لو قضيت ليلتى فى غرفتها لما حدث شيء .. أياً ما كان ما يحدث بالداخل فهو شرير .. دعك من أننى أنا بالذات لا أجد له تفسيراً .. ..

هل أفتح الباب لأجد ذلك الشيطان ذا العباءة منحنيًا على عنقها ، ثم يشعر بى فيطلق فحيحًا كالقطط ، ويتحول إلى وطواط يحلق مغادرًا من النافذة ؟ لو كان الأمر كذلك فإن الحياة مسلية حقاً .. .

برغم كل شيء فتحت الباب ، لأجد ذلك الشيء الذى رأيت صورته على الشاشة ينحنى جوار الفراش .. برغم أننى بلغت هذه المسافة لم أستطع أن أفهم ما هو حقاً ..

توقف تفكيرى عند هذا الحد .. رسمت نصف دائرة بالشمعدان فى الهواء ثم هويت به على هذه الكتلة السوداء ، وأعتقد أننى أوجعته لأنه نهض وأطلق أنينًا عاليًا ..

وعندما التقت عيناتنا أدركت أنه ( أندرو ) ! ( أندرو أروسميث ) الخطيب القلق على خطيبته والذى رتب كل هذا الوضع منذ البداية ..

لكنه لم يكن ( أندرو ) كذلك .. كان الشر واضحًا فى قسّمات وجهه .. وبرغم أن الإضاءة خافتة فبنتى أدركت أن خيطًا أسود ينساب على شفّته السفلى ..



صحت في ذهول :

- « أنت !! »

لكن الأسئلة كانت كثيرة جداً .. لماذا ؟ لو كان هو مصاص الدماء الذى يقودها للنهائية فلماذا طلب منى هذا الطلب ؟ لماذا أراد أن أرى هذا بعينى ؟

ونظرت إلى الفراش لأطمئن على ( أليصابات ) .. كانت جالسة هذه المرة وهى تتحسس عنقها والشعر يغطى وجهها .. ثم رفعت رأسها ببطء فرأيت ألين نظرة شيطانية ماجنة عابثة .. كانت تضحك لكن ضحكتها توحي بالتخلف العقلى أو الجنون ..

- « هيء هيء هيء ! »

ثم بحركة خاطفة كحركات الأفاعي فى الهواء انقضت أناملها على معصمى .. لقد أمسكت به وكان هذا الساعد البائس سقط بين فكى ملزمة ..

هذه المرة لم تكن هناك مجاملات .. هويت بالشمعدان على وجهها فسقطت على الوسادة وهى مستمرة فى الضحك كأنها دعابة صبيانية ظريفة جداً .. أسوأ شئ فى العالم أن تشعر بأن خصمك لا يجد لضربتك أى تأثير .. أنت تبذل أقصى ما بوسعك وهو يعتبرها دعابات مسلية لا أكثر ..

لكن على الأقل تخلت يدها عن معصمى ..

وثبت إلى الخلف وواجهت بعينى ( أندرو ) الذى وقف يراقب كل هذا فى استمتاع كأنه فى السيرك .. ومن جديد سألته :

- « لماذا ؟ »

قال وهو يمد يده لها :

- « أنت تصرفت بحماقة يا عزيزتى واسمحي لى أن أكون خشناً .. لو كانت دماء ( أليصابات ) تمتص فلا بد أن هناك من يفعل ذلك .. ولا بد أنها هى الأخرى ليست على ما يرام لو أردت رأى .. لكن مصاص الدماء لا يستطيع أن يدخل بيتك ما لم تدعيه للدخول .. هذه قاعدة قديمة معروفة .. لا بد أن يجد حيلة كى يجعلك تدعيه لبيتك .. وقد فعلت أنا ذلك .. لقد دعوت ( أليصابات ) بكامل إرادتك وجئت غرفتها بنفس المنطق .. »

كانت هى قد نهضت من الفراش فقالت وهى تمشى نحوى مترنحة :

- « هلمى ( ماجى ) .. لن تعرفى أبداً كل السحر الذى يقودنا إليه ( أندرو ) .. فى البدء كنت مذعورة مثلك ثم عرفت أن هذا أفضل ما حدث لى فى حياتى .. »

كانا الآن يقتربان منى وأنا أترجع بظهرى نحو الباب ..

لن أجد الوقت الكافى أبداً .. لقد رأيت سرعتها فى الانقضاض وأعرف خيراً من سواى أنهما سيطيران فى الهواء فى أية لحظة .. عندئذ لن يجدى الصراخ ..



إنهما يدنوان ..

يدنوان ..

وهنا تحسست العقد المتدلى من صدرى .. مددت يدي ومزقته بحركة سريعة عصبية ثم تركت حبيباته تنتثر على الأرض ..

هنا وجدتهما ينقضان على الأرض ليجمعا الحبات فى لهفة ..

لقد صدق ما سمعته عن مصاصى الدماء من أنهم لا يأتون أبدا غير مدعويين .. إذن لا يوجد ما يمنع من أن تصدق مقولة أخرى حول إنهم مصابون بوسواس قهري ، وأنهم لا يتركون شيئا على الأرض إلا وجمعه .. كانوا فى القرون الوسطى ينصحون الناس بأن يحملوا بعض البازلاء أو الحبوب فى جيوبهم ؛ لينثروها على الأرض كي ينشغل مصاص الدماء بجمعها ، وهذا يتيح لهم وقتا للهرب .. الغريب أيضا أنهم يضعون البذور فى القبر حول مصاص الدماء فيظل يعد للأبد .. (\*)

لقد انتثر العقد على الأرض فلم يقاوما تلك الغريزة ..

هكذا جريت أغادر الغرفة ، وأغلقت الباب خلفى .. وخلال ثلاث دقائق كنت أدق بعنف على باب ( جراهام ) الوفى .. الخادم البريطانى الوقور وقد عقد الروب حول خصره يضع يده على فمه غير مصدق ، فهو لم يرنى فى هذا الجزء من القصر منذ ولدت ..

(\*) حقيقة ! أعنى أن هذا يقال فعلاً !

لم أقل شيئا .. فقط طلبت منه أن يأتى معى لأن هناك متسللاً فى غرفة ( أليصابات ) ..

هرعنا إلى هناك وفتحنا الباب .. كما توقعت .. كانت الفوضى ضاربة أطنابها فى الغرفة والستائر تتطاير من النافذة المفتوحة لكن لا أحد ..

قال وهو يرفع مسدسه :

- « هل الآسنة واثقة من أن ضيفتها قد أمضت ليلتها فى الفراش ؟ »

قلت فى غموض :

- « لست واثقة من شيء . »

وعندما عدت إلى مكتبى وجدت أن الكاميرا لم تسجل أى شيء .. لقد زالت اللحظات التى رأيتها تماماً من ذاكرة جهاز التسجيل ، فلم تبق إلا صورتى و ( جراهام ) ونحن نرمق الغرفة فى ذهول ..

هكذا جلست إلى مكتبى وكتبت لك هذه الرسالة .. ( رفعت ) .. هل تعتقد أننى كنت أهذى ؟ هل تعتقد أن ( أندرو ) مصاص دماء نجح فى أن يسيطر على ( أليصابات ) ويجعلها مثله ؟

ثم السؤال الأهم هل تعتقد أنهما سيعودان ؟

تمت



## ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس  
من فرط الغموض والرعب والإثارة

٣٦



د. محمد عثمان الزوفوي

هذه قصة مطاطة جداً وإن  
كانت هي البساطة بعينها .. يمكنك  
أن تختار رفيقاً يناسبك .. يمكنك أن تختار  
نوعية الخطر الذي يجب أن تمر به وتختار  
النهاية التي تفضلها .. لقد حلم كثيرون بأن تحوى  
الحياة زر (undo) كما في برامج الكمبيوتر ليصحح  
أخطائك .. لماذا فضلت كلية الآداب على كلية  
الصيدلة ؟ ... لماذا فضلت (غادة) على (لمياء) ؟  
لماذا التهمت السبانخ بدلاً من البازلاء ؟ ... لبيتك  
اخترت العكس منذ البداية .. حسن .. هذه  
القصة تحقق لك هذا الحلم .. فقط ابدأ  
القراءة ، ولتكن اختياراتك حكيمة  
أو تبدو كذلك ..

المؤسسة  
العربية الحديثة

للطب والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية

التمن في مصر ٣٠٠  
وما يعادله بالدولار الأمريكي  
في سائر الدول العربية والعالم

